شرح

الدروس المهمة لعامة الأمة

لسماحة العلامة

عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز

-رحمه الله-

جمعها

محمد بن علي بن إبراهيم العرفج

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

شركاء التنفيذ:

دار الإسلام
جمعية الربوة
رواد الترجمة
المحتوى الإسلامي

يتاح طباعة هذا الإصدار ونشره بأي وسيلة مع
الالتزام بالإشارة إلى المصدر وعدم التغيير في النص.

Telephone: +966114454900
ceo@rabwah.sa
P.O.BOX: 29465
RIYADH: 11557
www.islamhouse.com

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله سبحانه قد حفظ هذا الدين وأعلى مكانته بين الأمم، وذلك ببعثه النبي محمد ﷺ خاتم الرسل، وجعل هذا الدين خاتم الأديان وأكملها، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾، وجعل سبحانه العلماء ورثة الأنبياء، يوضحون للناس أمور دينهم، ويبصرونهم بعباداتهم، حتى يعبدوا الله على علم وبصيرة. وكان من هؤلاء فقيد الأمة الإسلامية سماحة الإمام العلامة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- فقد أمضى حياته في العلم والتعليم والقضاء والفتيا، واتصف بصفات كريمة وأخلاق فريدة من الورع والتقى والزهد، وغير ذلك من الصفات السامية، وها نحن نرى من مؤلفاته الكثيرة التي تخدم العقيدة والفقه والحديث والدعوة وغيرها.

ومن تلك المؤلفات كتاب **(الدروس المهمة لعامة الأمة)** ذلك الكتاب المهم، الذي هو اسم على مسمى، ولفظ طابق معنى، ذلك لأن الحاجة إليه ماسة لعامة الأمة، حيث يشتمل على الضروريات من أمور الدين في العقيدة والعبادات والأخلاق.

ونظراً لما ذكرت من أهمية الكتاب ومؤلفه، والتماساً للأجر، وحرصاً على نفع الناس، عملاً بقوله ﷺ: «**خير الناس أنفعهم للناس**»، رأيت أن أدلي بدلوي بشرح هذا الكتاب وإيضاحه بعبارات سهلة واضحة، وقد اخترت ذلك من كتب علمائنا الأجلاء، وأكثر اعتمادي بعد الله على كتابات الشيخ عبد العزيز بن باز، كما اخترت من نسخ الكتاب النسخة التي طبعتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الصادرة عن مطبعة سفير، وهي آخر طبعة للكتاب في حياة المؤلف -رحمه الله-، وهي أجمل تنظيماً وتحريراً، وفيها زيادة ذكر الإحسان، ولذلك فالمتن المحرر قبل الشرح هو لتلك النسخة.

وقد رأينا إتماماً للفائدة وتسهيلاً للمستفيدين، سواء كانوا مدرسين أو وعاظاً أو طلاباً ذكوراً وإناثاً: أن نضع أسئلة لكل درس، تثبيتاً للمعلومات، وتقريباً للأفهام.

أسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يصلح نياتنا وذرياتنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

محمد بن علي العرفج

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تنبيهات هامة

1) ندعو الآباء والأمهات كبار السن، وخاصة مَنْ فاتهم التعليم في الصغر: أن يحرصوا على تصحيح عباداتهم، ليكون لهم بإذن الله الخاتمة الحسنة، كي يعبدوا الله على بصيرة، حيث يوجد من الناس مثلاً من لا يُجيد قراءة الفاتحة، وهي ركن من أركان الصلاة، وعلاج ذلك: مراجعة ما يهم المسلم من أمور دينه عن طريق أبنائه أو بناته المتعلمين، أو عن طريق طلبة العلم، ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، واحذر أيها المسلم أن يخدعك إبليس، فيدفعك للاستنكاف عن التعلم ممن هو دونك، فإن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- بُعث إليهم رسول الله ﷺ لتعليمهم، وهم آباء وأجداد، فتعلموا من الرسول ﷺ وهم كبار سن.

2) وندعو الأبناء والبنات: الذين فتح الله عليهم، ويَسَّر لهم سبل العلم والمعرفة، فأدوا ما وجب عليهم على الوجه الصحيح: أن لا تستصغروا أنفسكم في إصلاح أخطاء أقربائكم آباءً وأجداداً وإخواناً وغيرهم بحجة صغر السن، بل يجب عليكم تعليمهم برفق وأدب وحكمة، عملاً بقوله ﷺ: «إن الله رفيق يُحِبُّ الرّفق في الأمر كلّه، ويُعطي على الرّفق ما لا يُعطي على العنف».

وقد حكى المؤرخون: أن الحسن والحسين -رضي الله عنهم- رأيا رجلاً كبيراً في السن لا يُحسن الوضوء، فأرادا تعليمه برفق وأدب، فتقدما إليه وقالا: يا عم اختلفنا أينا أحسن وضوءاً، نريد أن تحكم بيننا. فتوضأ كل واحد منهما أمام الرجل، وقالا: احكم بيننا. فقال: لقد أحسنتما، بارك الله فيكما، انتسبا، فقالا: الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، فضمهما وقال: ذرية بعضها من بعض.

وحكى المؤرخون: أن عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- في اليوم الذي تولى فيه الخلافة دفن سليمان بن عبد الملك، ثم باشر عمله، فرد القطائع إلى بيت المال، وسهر في بيع المتاع والبراذين والسرادقات، وسرح الجواري إلى أهلها، وطلع النهار وواصل العمل حتى حان وقت الظهر، فصلى وذهب يتبوأ مقيلاً، فأتاه ابنه عبد الملك بن عمر فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال: أي بني أريد أن أقيل، قال: تقيل ولا ترد المظالم؟ قال: أي بني إنني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا قِلْتُ قُمتُ فرددت المظالم، قال عبد الملك بن عمر: يا أمير المؤمنين فمن لك أن تعيش حتى تقوم فتردها؟ فقال: أي بني ادن مني. فدنا منه فالتزمه وقبَّل بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، ثم خرج ولم يَقِلْ ولم يسترح.

فانظر -رحمك الله- كيف أن عبد الملك لم يستصغر نفسه في نصح والده، ولم يستنكف عمر -رحمه الله- عن النصيحة مع أنه خليفة ووالد.

3) اعلم أنه يلزمك أن تتعلم ما فرض الله عليك من أمور دينك، فخصص لذلك وقتاً ولو يسيراً من أوقاتك، كما أنك تبذل وقتاً كبيراً لأمور دنياك.

وفّق الله الجميع لِمَا يُحِبُّ ويرضى.

بين يدي الكتاب

1) الإسلام هو دين الفطرة الذي فطر الله الناس عليها، وهو دعوة الأنبياء والرسل من قبل، فكل نبي يدعو قومه إليه ليكونوا مسلمين، كما قال سبحانه في كتابه العظيم عن أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ ﴾ [البقرة: 130ـ132].

2) لقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بهذا الدين العظيم، وأهل الكتاب من يهود ونصارى في جهل وضلال، بعد أن حرَّفوا وبدلوا في التوراة والإنجيل، ولعبت الأهواء بهم، فأصبح اليهود والنصارى في صف كفار قريش في النَّيْل من محمد ﷺ ودعوته، وخاصة اليهود مع أنهم يعرفونه تمام المعرفة من خلال كتبهم، وأنهم مطالبون باتباعه والإيمان بدعوته، كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 146].

3) وعندما استقر نبينا محمد ﷺ في المدينة أرسل إلى ملوك الأرض في

زمانه يدعوهم إلى دين الله، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولقد بين ربعي بن عامر -رضي الله عنه- بكلمات قلائل عندما سأله رستم قائد الفرس ما أنتم؟ فأجابه بقوله: نحن قوم ابتعثنا الله: لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سَعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

4) وهذا الدين الخاتم جاء ليضع الأمور في نصابها، ويوجه الناس الوجهة الصحيحة: من توحيد لله، والتصديق بأنبيائه ورسله، والإيمان بهم، والدعوة إلى ما دعوا إليه من توحيد الله وإسلام الوجه له.

5) ومحاسن دين الإسلام كثيرة جدًّا لا تحصى، وكيف لا وهو دين الله الذي يعلم كل شيء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة وهو الحكيم العليم في كل ما يُقدّره ويقضيه، وفي كل ما يشرعه لعباده، فلا خير إلا دعا إليه رسولنا عليه الصلاة والسلام ودل أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرهم منه، كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهم- عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**».

وفي مسند أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**» ورواه الحافظ الخرائطي بإسناد جيد: بلفظ «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

6) وإن ما نلاحظه اليوم من دخول الناس أفواجاً من الكفرة والمشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى في الإسلام، إنما هو دلالة على فشل الديانات والفلسفات الأخرى في إيجاد الطمأنينة والراحة والسعادة للناس، والواجب على المسلمين وخاصة الدعاة: أن ينشطوا بين هذه الأمم، لدعوتهم إلى دين الله، ولا ننسى قبل القيام بذلك أن نتمثل الإسلام فينا علماً وسلوكاً، فالبشرية بحاجة إلى من يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: 33].

أسأل الله أن يجعلنا دعاة خير، وأن يبصرنا بديننا، وأن يوفقنا في الدعوة إليه على بصيرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1].

(1) من كلمة لسماحة المفتي العام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز بعنوان "التعريف بالإسلام"، مجموع الفتاوى 2: 212 ـ 215، بتصرف.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فهذه كلمات موجزة في بيان بعض ما يجب أن يعرفه العامَّة عن دين الإسلام، سميتها: (الدروس المهمّة لعامَّة الأمّة).

وأسأل الله أن ينفع بها المسلمين، وأن يتقبلها مني، إنه جواد كريم.

عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز

الدرس الأول:

سورة الفاتحة وقصار السور

سورة الفاتحة وما أمكن من قصار السور، من سورة الزلزلة إلى سورة الناس، تلقيناً، وتصحيحاً للقراءة، وتحفيظاً، وشرحاً لِمَا يجب فهمه.

تفسير الاستعاذة:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

أعوذ: ألتجئ، وأتحصن، وأعتصم، وألوذ بك يا الله.

بالله: رب كل شيء، المألوه المعبود وحده لا شريك له.

الشيطان: إبليس لعنه الله.

الرجيم: المرجوم المبعد، المطرود من كل رحمة وخير، لا يضرني في ديني ولا في دنياي.

فمعنى الاستعاذة:

أستجير وأتحصن بالله ربي من الشيطان الرجيم: أن يلبِّس عليَّ قراءتي ـ أو يُضلَّني ـ فأهلك وأشقى، وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل استفتح صلاته بالتكبير، ثم يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**

من همزه ونفخه ونفثه» [أخرجه أصحاب السنن].

حكم الاستعاذة:

يسن لكل من يريد قراءة شيء من القرآن من سورة فأكثر أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ.

كما يستحب لمن غضب أو خطر بباله خاطر سوء: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

البسملة:

أي قول «بسم الله الرحمن الرحيم».

معنى البسملة: أي أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، مستعيناً به جل وعلا في جميع أموري، طالباً منه وحده العون ـ فإنه الرب المعبود، ذو الفضل والجود، واسع الرحمة، كثير التفضل والإحسان، الذي وسعت رحمته كل شيء، وعم فضله جميع الأنام.

لفظ الجلالة «الله»: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وهو علم على ذات الرب سبحانه وتعالى، يعرف به.

الرحمن: اسم من أسماء الله تعالى، مشتق من الرحمة، ودال على كثرتها. والمراد الرحمة العامة لجميع المخلوقين، يرزقهم ويخلقهم، وذلك من كمال نعمته، ولذلك قيل: «يا رحمن الدنيا».

الرحيم: اسم الله تعالى مشتق من الرحمة، دال على كثرة رحمته وخصوصيتها بالمؤمنين خاصة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ولذلك قيل: «**يا رحيم الآخرة**».

حكم البسملة:

مشروع للعبد ومطلوب منه أن يبسمل عند قراءته كل سورة من كتاب الله تعالى، إلا عند قراءة سورة التوبة، فإنه لا يبسمل، وإن كان في الصلاة المفروضة يبسمل سرًّا إن كانت الصلاة جهرية، ويسن للعبد أن يقول: بسم الله عند الأكل والشرب، ولبس الثوب، وعند دخول المسجد، والخروج منه، وعند الركوب، وعند كل أمر ذي بال. كما يجب عليه أن يقول: بسم الله والله أكبر عند الذبح والنحر إذا ذكر ذلك.

منهج تفسير السور المختارة:

سيكون المنهج في تفسير ما اختير من قصار السور على النحو التالي:

1 ـ تسمية السورة وموضوعها.
2 ـ مناسبتها لما قبلها.
3 ـ موضوع السورة.
4 ـ المفردات.
5 ـ المعنى الإجمالي.
6 ـ ما يستفاد من السورة.

سورة الفاتحة

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ -عز وجل- ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا
ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾.

من أسماء الفاتحة:

1 ـ فاتحة الكتاب.

2 ـ أم الكتاب.

3 ـ أم القرآن.

4 ـ السبع المثاني والقرآن العظيم.

5 ـ الحمد، لأنها مفتتحة بالحمد.

6 ـ الصلاة، لقوله: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**» [رواه مسلم].

7 ـ الشفا.

8 ـ الرقية.

9 ـ الواقية.

تفسير الفاتحة:

الحمد لله: الحمد هو الثناء على الله بصفات الكمال مع حبه وتعظيمه وإجلاله.

رب العالمين: الرب هو المعبود المالك المتصرف، وهو المربي جميع العالمين بكل أنواع التربية، فهو الذي خلقهم ورزقهم، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

العالمين: كل موجود سوى الله تعالى.

الرحمن الرحيم: اسمان لله تعالى دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء وعمّت كل مخلوق، فهو رحمن الدنيا ورحيمها ـ الرحمن رحمة عامة لجميع خلقه ـ الرحيم خاصة بالمؤمنين.

كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: 43]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: 110].

مالك يوم الدين: المتصرّف وحده في يوم الحساب والجزاء، يومٌ كلٌّ يجازى بعمله: إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر، إلا من عفا الله عنه سبحانه. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ

نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ [الانفطار: 17ـ 19]. والمالك هو من اتصف بالصفات العظيمة الكاملة، التي يَتحقّق بها الملك، ومن آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف في العالم العلوي والسفلي التصرف التام بالأحكام القدرية والأحكام الشرعية وأحكام الجزاء، فلهذا أضاف ملكه ليوم الدين وهو يوم القيامة، لأن الله تعالى يدين الخلائق في ذلك اليوم بأعمالهم ويجازيهم عليها بالعدل.

إياك نعبد وإياك نستعين: أي نخصك يا ربنا وحدك بالعبادة والاستعانة، فلا نعبد غيرك، ولا نستعين بسواك، ولا نتوكل إلا عليك، فهو عهد بين العبد وربه: أن لا يعبد إلا إياه، ولا يستعين إلا به.

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

اهدنا الصراط المستقيم: دُلّنا وأرشدنا ووفّقنا للطريق المعتدل، الذي لا اعوجاج فيه، وهو العلم بالحق والعمل به، الموصل إلى الله وإلى جنته وكرامته.

صراط الذين أنعمت عليهم: أي طريق الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق للإيمان والاستقامة عليه، وهم: الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون.

غير المغضوب عليهم: وهم الذين عرفوا الحق وتركوه: كاليهود وأمثالهم.

وغير طريق الضالين، وهم الذين ضلوا عن الحق: كالنصارى وغيرهم ممن فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة، لا يهتدون إلى الحق.

ويستحب لمن قرأها أن يقول بعدها: آمين في الصلاة وغيرها، ومعناها: اللّٰهُمَّ استجب لنا ـ لأن النبي ﷺ كان يقولها، ويأمر بها ـ وقد ثبت عن النبي ﷺ أن سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن، وأنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها.

فضل سورة الفاتحة:

1 ـ الفاتحة أعظم سورة في القرآن، لقوله ﷺ لأبي سعيد بن المعلَّى: «**لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**»، ثم قال له: «**الحمد لله رب العالمين**».

2 ـ قصة اللديغ تفيد أنها شافية كافية، وأنها رقية، وقد رواه البخاري.

3 ـ إن قراءتها ركن من أركان الصلاة للإمام والمنفرد، ولا تتم الصلاة إلا بها، وهي واجبة في حق المأموم، قال ﷺ فيما رواه أبو هريرة: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خَداج**» ثلاثاً «**غير تمام**» [رواه مسلم].

ما يستفاد من سورة الفاتحة:

1 ـ قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة، لقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» وهذا في حق الإمام والمنفرد.

2 ـ أما في حق المأموم واجبة على الصحيح في السرية والجهرية.

3 ـ تضمنت السورة، ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من القواعد التي توجب الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تشبيه، ولا تمثيل ولا تكييف، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، وأنه عليم، ذو علم يعلم به كل شيء، وأنه قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء.

4 ـ تضمنت معنى العبادة، وأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

5 ـ ينبغي للمسلم أن يتذكر يوم الدين وهو الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، وأن عدم نسيان ذلك اليوم يساعد الإنسان على فعل الطاعات واجتناب المحرمات.

6 ـ العبادة إذا خالطها شرك فسدت وبطلت.

7 ـ تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة:

(أ) توحيد الربوبية، ويؤخذ من قوله جل وعلا: رب العالمين.

(ب) توحيد الإلهية، وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من قوله: «الله»، ومن قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين».

(ج) توحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله، التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ.

8 ـ وتضمنت إثبات النبوة في قوله: «اهدنا الصراط المستقيم».

9 ـ إثبات الجزاء على الأعمال في قوله: «مالك يوم الدين».

10ـ وتضمنت إثبات القدر، والرد على أهل البدع والضلالة في قوله: «اهدنا الصراط المستقيم» لأنه معرفة الحق والعمل به.

11ـ وتضمنت إخلاص العبادة لله وحده في قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين»[2].

(2) الأحكام الملمة على الدروس المهمة، عبد العزيز الفايز.

سورة الزلزلة

﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ
ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ يَوۡمَئِذٖ
يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧
وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾

موضوع السورة:

أمارة القيامة والجزاء على الخير والشر.

تسميتها:

سميت سورة الزلزلة أو الزلزال، لافتتاحه بالإخبار عن حدود الزلزال العنيف قبيل يوم القيامة.

مناسبتها لِمَا قبلها:

لَمّا ذكر الله تعالى في آخر سورة البينة وعيد الكافر ووعد المؤمن، وأن جزاء الكافرين نار جهنم، وجزاء المؤمنين جنات، بين هنا وقت ذلك الجزاء وبعض إماراته ـ وهو الزلزلة وإخراج الأرض أثقالها ـ وأن كل إنسان سيجازى في ذلك اليوم عن مثاقيل الذر من الخير أو الشر.

سبب نزولها:

كان الكفار يسألون كثيراً عن الساعة ويوم الحساب، فأبان لهم في هذه السورة علامات القيامة فحسب، ليعلموا أن علم ذلك عند الله، ولا سبيل إلى تعيين ذلك اليوم للعرض والجزاء والحساب.

فضلها:

أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أخبر أنها تعدل ربع القرآن.

معاني الكلمات:

قال ابن عباس -رضي الله عنهم-:

إذا زلزلت الأرض زلزالها: أي تحرك أسفلها، يخبر الله تعالى عما هو يوم القيامة، وأن الأرض تزلزل وترجف وترتج حتى يُسقط ما عليها من بناء ومعلم، فتندك جبالها، وتسوى تلالها، وتكون قاعاً صفصفاً، لا عوج فيه ولا أمتاً.

وأخرجت الأرض أثقالها: يعني ألقت ما فيها من الأموات والكنوز.

وقال الإنسان: إذا رأى ما عَراها من الأمر العظيم.

مالها: أي: أي شيء عرض لها.

يومئذ تحدث أخبارها: أي تَشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها**».

وقوله تعالى: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾، عن ابن عباس -رضي الله عنهم- قال: قال لها ربها: قولي. فقالت. وقال مجاهد -رحمه الله-: أي أمرها أن تخبر بما عمل عليها فلا تعصي أمره.

يومئذ يصدر الناس أشتاتاً: من موقف القيامة ـ أشتاتاً ـ أي فرقاً متفرقين، ما بين شقي وسعيد، ومأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار.

ليروا أعمالهم: أي ليريهم الله ما عملوا من السيئات ـ والحسنات ـ ويريهم جزاءهم موفوراً.

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره، مثقال ذرة: وزن أصغرِ النمل ـ خيراً يره، يعني في كتابه ويسُرُّ ذلك ـ يُكتب لكل بَرٍّ وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة، وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين، وهذا شامل عام للخير والشر

كلِّه، لأنه إذا رأى مثقال الذرة التي هي أصغر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: 30]، ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ﴾ [الكهف: 49]، ووجدوا ما عملوا حاضراً، وهذا منه للترغيب في فعل الخير ولو قليلاً، والترهيب من فعل الشر ولو قليلاً ـ قال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**». وقال ﷺ فيما ترويه عائشة -رضي الله عنها-: كان ﷺ يقول: «**ياعائشة إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً**».

وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت. ويجيء القاطع، فيقول: في هذا قطعت. ويجيء السارق، فيقول: في هذا قُطعت يدي. ثم يدعونه، فلا يأخذون منه شيئاً**».

المعنى الإجمالي:

حينما يريد الله انقضاء الدنيا وقيام الساعة يأمر الأرض فتتزلزل وتهتز اهتزازاً عنيفاً لم يكن مألوفاً. وتخرج دفائنها وأثقالها وما عليها، وعندئذ يقول الإنسان الذي يرى هذا: ما لها؟ أي ما الذي حصل للأرض؟ فإن هذا لم يألفه، ولم يعرف له سبباً، في ذلك الوقت، تحدثك الأرض حديثها، وتنطق

بلسان الحال لا بلسان المقال، كما قال ذلك العلامة الطبري في تفسيره: إن هذا تمثيل، فما وقع للأرض مما لم يكن مألوفاً، إنما كان بسبب أن ربك أوحى لها، وأمرها بهذا أمراً تكوينياً. وكل ما يحصل في الكون فهو من قبيل الأمر التكويني من الله، إلا أن هناك أموراً تحصل بلا سبب ظاهري، فتسند للأمر التكويني. وما يحصل لسبب عادي لا يسند إليه. وإن كان في الواقع منه، يومئذ يخرج الناس من قبورهم متفرقين، كل على حسب عمله، ليروا جزاء أعمالهم، فمن يعمل ما يوازن مثقال ذرة من خير ثيب عليه، ومن يعمل مثقال ذرة من شر يجاز عليه ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: 47]،وهذه السورة سورة ترغيب وترهيب.

ما يستفاد من الآيات:

1 ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

2 ـ الإعلام عن الانقلاب الكوني، الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض، والسماوات غير السماوات.

3 ـ تكلم الجمادات من آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته، وهي من موجبات ألوهيته التي توجب عبادته وحده لا شريك له.

4 ـ تقرير الحديث الصحيح «اتقوا النار، ولو بشق تمرة».

5 ـ الكافر عمله الخيري ينفعه في الدنيا دون الآخرة.

6 ـ المؤمن يُجزى بالسيئة في الدنيا، ويدخر له صالح عمله للآخرة.

سورة العاديات

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ
بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ
لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩
وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾.

تسميتها:

سميت بسورة العاديات، لأن الله افتتحها بالقسم بالعاديات، وهي خيل المجاهدين المسرعة في لقاء العدو.

مناسبتها لِمَا قبلها:

إن هناك تناسباً بين السورتين في إخراج الأموات من باطن الأرض ـ ففي الزلزلة ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾، وفي هذه السورة ﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ وفي الزلزلة ختمت ببيان الجزاء على الخير والشر، والعاديات ختمت بالجزاء على الخير والشر ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴾.

معاني الكلمات:

والعاديات ضبحاً: الخيل تعدو عدواً بليغاً قويًّا، يصدر عنه الضبح.

والضبح: هو صوت نَفَسها في صدورها عند اشتداد عدوها.

الموريات: القدح بحوافرهن ما يطأن عليه من الأحجار.

قدحاً: تأكيد، أي تقدح النار من صلابة حوافرهن وقوتهن إذا عدون.

فالمغيرات: التي تُغير وتَهجم على العدو بالإغارة.

صبحاً: وقت الصبح، وهذا أمر أغلبي: أن الغارة تكون صباحاً، وذلك أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يغير انتظر الصباح، فإن سمع أذاناً كف، وإلا أغار، وبذلك كان يوصي من يرسله في سرية.

فأثرن به: أي هيجن بعدوهن وغارتهن، **نقعا**: غباراً لشدة حركتهن، فوسطن به: أي براكبهن، **جمعاً**: أي جموع الأعداء الذين أغار عليهم.

إن الإنسان لربه لكنود: أي أن جنس الإنسان منوع للخير الذي لله عليه، أو جحود للخير.

وإنه على ذلك لشهيد: أي على كنوده أو جحوده شاهد، يشهد على نفسه بما يعرفه منها من المنع للخير والبخل به.

وإنه لحب الخير: أي الإنسان لحب الخير، أي المال، لشديد الحب له فيبخل به.

بعثر ما في القبور: أي أنثر وأخرج ما في القبور من الموتى، والمراد به

البعث، أي بعثهم الله.

وحصل ما في الصدور: أي ظهر وبان على حقيقته بعدما كان مستتراً في القلوب من خير وشر.

إن ربهم بهم يومئذ لخبير: أي عالم بأعمالهم الظاهرة والباطنة، ومجازيهم عليها.

المعنى الإجمالي:

أقسم الله تعالى بالخيل، لأن بها من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب، وقد ثبت أنه في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وذلك أنها وسيلة الغزو عند العرب، ولها مكانة في نفوس المؤمنين، وفي ذلك دعوى للاعتناء بها، والتدرب عليها للجهاد في سبيل الله، وفيها دعوة للتعود على معالي الأمور وظواهر الجد والعمل، واقتناء الخيل للأغراض النبيلة. وجواب القسم المحلوف عليه بيان طبيعة الإنسان، وأنه يجحد النعمة، وينسى شكر الخالق المنعم، وربما أداه ذلك إلى عدم الخضوع لشرع الله وأحكامه، وفي ذلك تنبيه للمؤمنين إلى مجاهدة أنفسهم، وفيه بيان أمر الدنيا والآخرة والإقبال على الطاعة والفضيلة، والإحجام عن المعصية والرذيلة، وفيه بيان شدة حب الإنسان للمال، الذي يدفع به للبخل وترك الإنفاق، بل تراه مجدًّا في طلبه وتحصيله، متهالكاً عليه، مقبلاً على الدنيا، مدبراً عن الآخرة، ناسياً حق الله تعالى فيما أعطاه، ولذلك هدده وتوعده متى ظل على هذه الصفات،

ولم يحسن سلوكه.

أفلا يعلم إذا بُعثر ما في القبور وحُصّل ما في الصدور: أي أفلا يدري الجاحد المتناسي لأمر الله ونهيه إذا خرج من قبره، وأبرز وأظهر ما في نفسه من النوايا والعزائم والخير والشر، أن الله مطلع على جميع أحواله، لا تخفى عليه منه خافية، ومجازيه في ذلك اليوم على جميع أعماله أوفر الجزاء، فعليه ألا يشغله حب المال عن شكر ربه وعبادته والعمل للآخرة.

ما يستفاد من الآيات:

1 ـ الترغيب في الجهاد، والإعداد له بإيجاد وسائله.

2 ـ بيان حقيقة الإنسان، وهو أنه جحود لنعم ربه، وغالباً يذكر المصيبة إذا أصابته، وينسى النعمة إذا غطته، إلا من آمن وعمل صالحاً.

3 ـ بيان غريزة الإنسان في حبه للمال حبًّا شديداً، وفي ذلك دعوة له إلى أن يهذب نفسه بالإيمان وصالح الأعمال والنفقة من المال.

4 ـ تقرير عقيدة البعث والحساب.

سورة القارعة

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن
ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ
هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾.

تسمية السورة:

سميت السورة بالقارعة لبدء السورة بها تهويلاً وتخويفاً: كابتداء سورة الحاقة والغاشية. والقارعة من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك، لأنها تقرع القلوب بهولها.

مناسبتها لِمَا قبلها:

لَمّا ختمت السورة السابقة بوصف يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾، أعقبتها هذه السورة بالحديث عن القيامة، ووصفها الرهيب وأهوالها المخيفة.

موضوع السورة:

السورة من السور المكية، وموضوعها التعريف ببعض أهوال يوم

القيامة، والتخويف من أهوالها، وبيان أن الناس ينقسمون بحسب أعمالهم إلى سعداء وأشقياء.

المفردات:

القارعة: من أسماء يوم القيامة، وسُمّيت بذلك لأنها تقرع القلوب والأسماع بأهوالها وأفزاعها الشديدة من القرع، وهو الضرب بشدة.

وما أدراك ما القارعة: أي ما أعلمك ما القارعة، والسؤال للتهويل لعدم إدراك كنهها، وكرر السؤال زيادة في شدة الأهوال.

كالفراش المبثوث: الفراش طائر معروف أحمق، يتهافت على النار.

المبثوث: المنتشر المتفرق في الكثرة والانتشار والذلة والاضطراب، يموج بعضهم فوق بعض للحيرة إلى أن يُدعو للحساب.

وتكون الجبال كالعهن المنفوش: أي كالصوف المندوف في خفة سيرها وتبددها، حتى تستوي مع الأرض.

ثقلت موازينه: أي رجحت حسناته على سيئاته.

فهو في عيشة راضية: ذات رضا أي مرضية لصاحبها في الجنة.

خفت موازينه: بأن رجحت سيئاته على حسناته.

فأمه هاوية: أي فمسكنه ومأواه الذي يأوي إليه نار جهنم.

وما أدراك: ما أعلمك، والسؤال للتهويل.

ماهية: هي الهاوية، وهي من أسماء جهنم. نار حامية: أي هي نار شديدة الحرارة.

وقد ورد من السنة أحاديث في صفة النار: منها ما أخرجه البخاري ومسلم ومالك وغيرهم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**إن نار بني آدم التي توقدون جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم**»، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، فقال: «**إنها فضلت عليها بتسع وستين جزءاً**».

وأخرج أحمد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي أنه قال: «**إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلي منهما دماغه**»، وروى الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة**».

المعنى:

تضمنت السورة، عقيدة البعث والجزاء، التي كذَّب بها المشركون، وأنكروها وبالغوا في إنكارها، فأخبرنا تعالى أن القيامة التي تقرع الناس بأهوالها وعظائم ما يجري فيها، بحيث يكون الناس وهم أشرف الكائنات الأرضية في خفة أحلامهم وحيرة عقولهم: كالفراش المبثوث، وهو غوغاء

الجراد في تجمعه وتراكمه وانتشاره، يموج بعضه فوق بعض، لا يهتدي إلى سبيل. وتكون الجبال على رسوها وعلوها وضخامة ذواتها: كالصوف المندوف بمنداف، يتطاير هنا وهناك دون تماسك، فإذا بقوا وقعوا بين يدي ربهم لحسابهم ومجازاتهم، فمن رجحت حسناته على سيئاته نجى من النار، وصار في عيشة مرضية يرضى بها، كيف لا وهي الجنة دار النعيم المقيم، ومَنْ قلّت حسناته وكثُرت سيئاته أو لم يكن له حسنة بالكلية: كأهل الشرك والكفر، فأمه التي تضمه إليها وتؤويه عندها هاوية، يهوي بها على أم رأسه، وهاوية هي النار الحامية، التي لا أشد هولاً منها، إنها دار البوار والخسران، أعاذنا الله تعالى منها. وقد فسرت القارعة ببعض ما يكون فيها لا بحقيقتها، لعدم إدراك العقل لها، لعظم شأنها.

ما يستفاد من السورة:

1 ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض صوره.

2 ـ التحذير من أهوال يوم القيامة وعذاب الله تعالى فيها.

3 ـ تقرير عقيدة وزن الأعمال الصالحة وفاسدها، وترتيب الجزاء عليها.

4 ـ تقريـر أن الناس في يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، بحسب أعمالهم.

سورة التكاثر

﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ
لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾

تسمية السورة:

سميت سورة التكاثر لقوله تعالى: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾، أي شغلكم التفاخر بالأموال والأولاد والأعوان.

مناسبتها لِمَا قبلها:

أخبرت سورة القارعة عن بعض أهوال يوم القيامة وجزاء السعداء والأشقياء، ثم ذكر في هذه السورة علة استحقاق النار، وهو الانشغال بالدنيا عن الدين، واقتراف الآثام، وهددت بالمسؤولية في الآخرة عن أعمال الدنيا.

المفردات:

ألهاكم: شغلكم عن طاعة الله.

التكاثر: أي التباهي بكثرة المال.

حتى زرتم المقابر: أي تشاغلتم بجمع المال والتباهي بكثرته حتى متم ونقلتم إلى المقابر.

كلا: أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، فارتدعوا عن هذا التكاثر.

سوف تعلمون: أي إذا دخلتم قبوركم علمتم خطأكم في التكاثر في الأموال والأولاد.

كلا: أي حقًّا.

لو تعلمون علم اليقين: أي علماً يقينيًّا عاقبة التكاثر، لما تفاخرتم بكثرة أموالكم.

لترون الجحيم: أي النار.

يومئذ: أي يوم ترون الجحيم عين اليقين.

عن النعيم: أي الذي تنعمتم به وتلذذتم به من الصحة والفراغ والأمن والمطاعم والمشارب.

موضوع هذه السورة المكية:

ذم العمل للدنيا فقط، والتحذير من ترك الاستعداد للآخرة. لذا تناولت مقاصد ثلاثة.

1 ـ بيان انشغال الناس بملذات الحياة ومغرياتها والغفلة، حتى يأتي

الموت ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾.

2 ـ الإنذار بالسؤال عن جميع الأعمال في القيامة ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

3 ـ التهديد برؤية الجحيم يقيناً، ومجابهة أهوال النار والسؤال عن نعيم الدنيا ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾.

سبب نزول السورة:

في صحيح مسلم عن مُطرّف عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر، قال: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس**».

المعنى الإجمالي:

قوله تعالى: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ هذا خطاب الله تعالى للمشتغلين بجمع المال وبكثرته للمباهاة والتفاخر، الأمر الذي ألهاهم عن طاعة الله ورسوله، فماتوا ولم يقدموا لأنفسهم خيراً، قال تعالى لهم: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ﴾ أي شغلكم التكاثر، أي في الأموال للتفاخر بها والمباهاة بكثرتها ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ أي بعد موتكم نقلتم إليها لتبقوا فيها إلى أن تخرجوا منها للحساب والجزاء أي يوم القيامة، وقوله لهم: ﴿ كَلَّا ﴾ أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا،

فارتدعوا عن هذا السلوك المفضي بكم إلى الهلاك والخسران ﴿ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ عاقبة تشاغلكم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ والتزود للدار الآخرة ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ كرر الوعيد والتهديد، وقوله: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ أي حقًّا لو تعلمون ما تجدونه في قبوركم ويوم بعثكم ونشوركم، لما تشاغلتم بالأموال وتكاثرتم فيها. وقوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴾ ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾، هذا جواب قسم نحو: وعزتنا لترون الجحيم، أي النار وذلك يوم القيامة، المشرك يراها ويصلاها، والمؤمن يراها وينجيه الله تعالى منها، ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ أي الأمر الذي لا شك فيه، إذ يؤتى بجهنم فيراها أهل الموقف أجمعون، وقوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ ﴾ أي يوم ترون الجحيم عين اليقين ﴿ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الذي كان لكم في الدنيا من صحة وفراغ وأمن وطعام وشراب، فمن أدى شكره نجا، ومن لم يؤد شكره أخذ به، ولا يعفى إلا عن ثوب يستر العورة، وكسرة خبز تسد الجوعة، وحجر تكنُّ من الحر والبرد، هكذا ذكر أهل العلم.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر -رضي الله عنهم-، فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟**» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا**» فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحباً

وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلان؟**» قالت: يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا من هذه. وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ: «**إياك والحلوب**»، فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسي بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم**».

واسم الرجل الأنصاري مالك بن التَّيهان، ويُكنى أبا الهيثم -رضي الله عنه-.

وصح أيضاً أنه قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟**».

ما يستفاد من الآيات:

1 ـ التحذير من جمع المال وتكثيره مع عدم شكره وترك طاعة الله ورسوله من أجله.

2 ـ إثبات عذاب القبر وتأكيده بقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ

تَعۡلَمُونَ﴾. أي في القبر.

3 ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد الحساب والاستنطاق والاستجواب.

4 ـ سؤال العبد عن النعم التي أنعم الله تعالى عليه بها في الدنيا، فإن كان شاكراً لها فاز، وإن كان كافراً لها أُخذ، والعياذ بالله.

سورة العصر

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾

تسمية السورة:

سميت سورة العصر لقسم الله به في مطلعها بقوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾.

المفردات:

والعصر: الدهر، لِمَا فيه من العِبَر من جهة مرور الليل والنهار، وتعاقبهما، فإن في ذلك دلالة بيّنة على الصانع ﷻ وتوحيده.

وقيل: **العصر**: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر، وهو محل أفعال العباد.

إن الإنسان: أي جنس الإنسان.

لفي خسر: أي في نقصان وخسران، إذ حياته هي رأس ماله، فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحاً خسر كل الخسران، وهو جواب القسم.

وتواصوا بالحق: أي أوصى بعضهم بعضاً باعتقاد الحق وقوله والعمل به.

وتواصوا بالصبر: أي أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على اعتقاد الحق وقوله والعمل به.

الصبر: قوة في النفس تدعو إلى احتمال المشقة في العمل.

إن الإنسان لفي خسر: هذا جواب القسم، الخسر والخسران: النقصان وذهاب رأس المال، والمعنى أن كل إنسان في المتاجر والمساعي صرف الأعمار في أعمال الدنيا لفي نقص وضلال عن الحق حتى يموت.

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات: أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح فإنهم في ربح لا في خسر، لأنهم عملوا للآخرة ولم تشغلهم أعمال

الدنيا عنها، ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة، فإن اللفظ عام لا يخرج عنه أحد ممن يتصف بالإيمان والعمل الصالح.

وتواصوا بالحق: أي وصى بعضهم بعضاً بالحق الذي يحق القيام به، وهو الإيمان بالله وحده، والقيام بما شرعه الله، واجتناب ما نهى عنه.

وتواصوا بالصبر: أي بالصبر عن معاصي الله سبحانه، والصبر على فرائضه، والصبر على أقداره المؤلمة، وفي جعل التواصي بالصبر قريناً للتواصي بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

مناسبتها لِمَا قبلها:

لَمّا بيّن في السورة المتقدمة أن الانشغال بأمور الدنيا والتهالك عليها مذموم، أراد أن يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان بالله والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، لِمَا في ذلك من خير للفرد والمجتمع.

فضلها:

ذكر الطبراني عن عبيد الله بن حفص قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما سورة العصر إلى

آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر، وأخرجه البيهقي عن أبي حذيفة، وقال الشافعي: لو لم ينزل الله على عباده إلا هذه السورة لكفتهم، أو لوسعتهم، وذلك لما فيها من المراتب التي باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، إحداها معرفة الحق، والثانية عمله به، والثالثة تعليمه من لا يحسنه، والرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه، بإصلاح قوتيه العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، ويكمله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل.

فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله.

المعنى الإجمالي:

أقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر، ولله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله وحده، أقسم الله بالعصر، وهو الدهر: أن كل إنسان في خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به، فهذه مرتبة.

وعملوا الصالحات: وهم الذين عملوا بما علموه من الحق، فهذه مرتبة أخرى.

وتواصوا بالحق: وصَّى بعضهم بعضاً تعليماً وإرشاداً، فهذه مرتبة ثالثة.

وتواصوا بالصبر: صبروا على الحق، ووصَّى بعضهم بعضاً بالصبر عليه والثبات، فهذه مرتبة رابعة. وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره وكماله بإصلاح قوته العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان بالله، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل..

ما يستفاد من الآيات:

1 ـ فضيلة سورة العصر لاشتمالها على طريق النجاة في ثلاث آيات، حتى قال الإمام الشافعي: لو ما أنزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

2 ـ بيان مصير الإنسان الكافر، وأنه الخسران التام.

3 ـ بيان فوز أهل الإيمان والعمل الصالح، المجتنبين للشرك والمعاصي.

4 ـ وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين.

5 ـ أقسم الله تعالى بالعصر، وهو الدهر لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها، وما فيها من الدلائل.

فوائد متنوعة:

وأفادت صيغة التواصي بالحق والصبر أن يكون شأن حياة المؤمنين قائماً على التآمر بهما ديدناً لهم، وذلك بتقصي اتصاف المؤمنين بإقامة الحق وصبرهم على المكاره في مصالح الإسلام وأمته.

فائدة من أكبر الأعمال الصالحة التوبة من الذنوب لمقترفيها.

قال الرازي -رحمه الله-: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ دلت الآية على أن الحق ثقيل وأن المحن تلازمه، فلذلك قَرن به التواصي.

سورة الهمزة

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ
أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ
ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ
مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾

تسمية السورة:

سميت سورة الهمزة، لبدئها بقول الله سبحانه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾.

مناسبتها:

بعد أن ذكر الله سبحانه في السورة الماضية أن جنس الإنسان في خسران ونقص وهلكة، أبان في هذه السورة حال الخاسر، وأراد به تبيان الخسران بمثال واحد.

سبب نزولها:

قال أبو حيان: نزلت في الأخنس بن شريق أو العاص بن وائل أو جميل

بن معمر، أو الوليد بن المغيرة أو أمية بن خلف. أقوال، ويمكن أن تكون نزلت في الجميع، وهي مع ذلك عامة فيمن اتصف بهذه الأوصاف.

معنى الكلمات:

ويل: خزي وعذاب شديد، وقيل: إنه واد في جهنم.

لكل همزة لمزة: همزة ـ مغتاب طعَّان في أعراض الناس وكراماتهم، لمزة: عيَّاب يعيب عادة بالحاجب أو العين أو اليد أو الرأس، تحقيراً للناس وترفعاً عليهم.

جمع مالاً وعدده: أي أحصاه، وعدده لحوادث الدهر.

يحسب: يظن، أن ماله أخلده: أي جعله خالداً في الحياة لا يموت.

كلا: ردع وزجر، أي ليس الأمر كذلك.

لينبذن: أي ليطرحن ويُرمين بإهانة وتحقير.

في الحطمة: نار جهنم، سميت بذلك لأنها تحطم ما ألقي فيها، من الحطم وهو الكسر.

الموقدة: المستعرة.

تطلع على الأفئدة: تعلو أوساط القلوب وتحيط بها، وخصت الأفئدة بالذكر، لأنها محل العقائد الفاسدة الزائفة، ومنشأ الأعمال الفاسدة

القبيحة.

مؤصدة: مطبقة مغلقة عليهم، من أوصدت الباب أغلقته.

في عَمَد ممدة: في أعمدة طويلة، فتكون النار داخل العمد.

المعنى الإجمالي:

يتوعد الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بوادٍ في جهنم يسيل بصديد أهل النار، كل همزة لمزة أي كل مغتاب عيّاب ممن يمشون بالنميمة ويبغون للبراء العيوب وصفة هذا الهماز، أنه لا هم له سوى جمع المال وتعديده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام ونحو ذلك، يحسب بجهله أن ماله أخلده في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار ويخرب الديار، وأن البِرَّ يزيد في العمر.

ثم قال سبحانه: ﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴾، تعظيم لها وتهويل لشأنها، ثم فسرها بقوله: ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴾ التي وقودها الناس والحجارة، والتي من شدتها ﴿ تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴾ أي تنفذ من الأجسام إلى القلوب، ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها قد يئسوا من الخروج منها.

ولهذا قال: ﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ﴾ أي مغلقة ﴿ فِى عَمَدٍ ﴾ من خلف

الأبواب ممدة فلا يخرجون منها، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾، نعوذ بالله من ذلك.

ما يستفاد من السورة:

1 ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

2 ـ التحذير من الغيبة والنميمة.

3 ـ التنديد بالمفتونين بالأموال المعجبين بها.

4 ـ بيان شدة عذاب النار وفظاعته.

5 ـ الخزي والعذاب والهلكة لكل مغتاب عياب طعان للناس بخيل بالمال.

سورة الفيل

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢
وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ
مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾

تسمية السورة:

سميت سورة الفيل لافتتاحها بالتذكير بقصة أصحاب الفيل.

مناسبتها لما قبلها:

ذكر الله سبحانه في السورة السابقة "الهمزة" حال الهماز اللماز، الذي جمع مالاً، وتعزز بماله، وأفاد تعالى أن المال لا يغني من الله شيئاً، ثم ذكر في هذه السورة الدليل على ذلك، بإيراد قصة أصحاب الفيل، الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر مالاً، وأعظم عتواً، وقد أهلكهم الله بأصغر الطير وأضعفه، ولم يغن عنهم مالهم ولا عددهم ولا قوتهم شيئاً.

المفردات:

ألم تر كيف فعل ربك: ألم تعلم ـ والخطاب للرسول ﷺ، وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكنه شاهد آثارها، فكأنه رآها.

أصحاب الفيل: أي محمود وهو أكبرها، ومعه 12 فيلاً وصاحبها أبرهة ملك الحبشة.

ألم يجعل كيدهم: أي في هدم الكعبة.

في تضليل: في خسارة وهلاك.

الطير: كل ما طار في الهواء صغيراً أو كبيراً.

أبابيل: جماعات جماعات.

سجيل: أي طين مطبوخ.

كعصف مأكول: أي كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأرجلها.

المعنى الإجمالي:

تضمنت هذه السورة الحديث عن حادث جلل، وقع أمام ولادة النبي ﷺ، وخلاصته أن أبرهة الأشرم والي اليمن من قبل ملك الحبشة قد رأى أن يبني بيتاً في صنعاء اليمن، يدعو العرب إلى حجه بدل حجهم البيت الحرام، والقصد من ذلك تحويل التجارة والمكاسب من مكة إلى اليمن، وعرض هذا على الملك الحبشي فوافق وسره ذلك، ولما بني البيت ـ الكنيسة ـ وسماها القلّيس ـ لم يبن مثلها في تاريخها، جاء رجل قرشي فتغوط فيها ولطخ جدرانها بالعذرة غضباً منه وذهب، فلما رآها أبرهة الأشرم بتلك الحال استشاط غضباً وجهز جيشاً لغزو مكة وهدم الكعبة، وكان معه 13

فيلاً ومن بينها فيل يدعى محمود، وهو أكبرها، وساروا ما وقف في وجههم حي من أحياء العرب إلا قاتلوه وهزموه، حتى انتهوا إلى قرب مكة، وجرت سفارة بينهم وبين شيخ مكة عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وانتهت المفاوضات بأن يرد أبرهة إبل عبد المطلب ثم هو وشأنه بالكعبة، وأمر رجال مكة أن يخلوا البلد، ويلتحقوا برؤوس الجبال بنسائهم وأطفالهم خشية المعرة، تلحقهم من الجيش الغازي الظالم، فما هي إلا أن تحرك جيش أبرهة، ووصل إلى واد محسر، وإذا بفرق من الطير فرقة بعد أخرى، ترسل على ذلك الجيش حجارة، الواحدة ما بين الحمص والعدسة في الحجم، وما تسقط الحجرة على رجل إلا ذاب وتناثر لحمه فهلكوا، وفر أبرهة ولحمه يتناثر وهلك في الطريق، وكانت هذه نعمة من الله لسكان حرمه وحماة بيته، ومن ثم مازالت العرب تحترم الكعبة البيت الحرام وسكانه إلى اليوم.

ما يستفاد من الآيات:

1 ـ تسلية رسول الله ﷺ عما يلاقيه من ظلم كفار قريش.

2 ـ تذكير قريش بفعل الله -عز وجل- بأبرهة وأصحابه: تخويفاً لهم وترهيباً.

3 ـ مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى في تدبيره لخلقه وبطشه بأعدائه.

4 ـ حماية الله سبحانه لبيته من أعداء دينه.

5 ـ حادثة الفيل صارت أثراً تاريخيًّا، يسمى عام الفيل عام 570م، وهو العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ.

سورة قريش

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤ ﴾

تسمية السورة:

سميت سورة قريش تذكيراً لهم بنعم الله عليهم في مطلع السورة ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾.

مناسبة هذه السورة لما قبلها:

أن كلاًّ منهما تضمن ذكر نعمة من نعم الله على أهل مكة، فالأولى تضمنت إهلاك عدوهم، الذي جاء ليهدم بيتهم، والثانية ذكرت نعمة أخرى، هي اجتماع أمرهم والتئام شملهم، ليتمكنوا من الارتحال صيفاً وشتاءً في تجارتهم، وجلب المِيرَة لهم. وتوثيق الصلة بين السورتين، كان أبي بن كعب يعتبرها سورة واحدة، حتى روي عنه أنه لم يفصل بينهما ببسملة.

سبب نزول الآية:

أخرجه الحكم وعنه البيهقي في الخلافيات عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فضَّل الله قريشاً بسبع خصال**» وذكر الحديث،

وفيه: «ونزلت سورة لم يَذكر فيها أحد غيرهم».

المفردات:

لإيلاف قريش: يقال: ألِفَ الشيء إيلافاً، أي لازمه وعكف عليه مع الأنس وعدم النفور منه.

قريش: اسم للقبائل العربية من ولد النضر بن كنانة.

الرحلة: ارتحال القوم أي شدهم الرحال للمسير.

أطعمهم: أي وسع لهم الرزق، ومهد لهم سبيله.

آمنهم: أي جعلهم في أمن من التعدي عليهم والتطاول إلى أموالهم وأنفسهم.

فضلها:

أخرج الحاكم وعنه البيهقي في كتاب الخلافيات عن أم هاني بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: «فضَّل الله قريشاً بسبع خلال: إني منهم، وإن النبوة فيهم، والحجابة والسقاية منهم، وإن الله نصرهم على الفيل، وإنهم عبدوا الله -عز وجل- عشر سنين لا يعبده غيرهم، وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن». ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ﴾ لإيلاف قريش الآيات، قال ابن كثير: وهو غريب.

المعنى الإجمالي:

قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها، أي فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش، وأمنهم واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، وفي الصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب، فأهلك الله مَنْ أرادهم بسوء وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب حتى احترموهم ولم يعترضوا لهم في أي سفر أرادوا.

ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾، أي ليوحدوه ويخلصوا له العبادة، ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ فرغد الرزق والأمن من المخاوف من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله تعالى، فلك اللَّهُمَّ الحمد والشكر على نعمك الظاهرة والباطنة، قال ﷺ: «**من أصبح آمناً في سِربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه وليلته، فكأنما حاز الدنيا بحذافيرها**».

وخص الله الربوبية بالبيت، لفضله وشرفه، وإلا فهو رب كل شيء، فالإضافة إضافة تشريف.

وآمنهم من خوف: أي وتفضل عليهم بالأمن والاستقرار، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندًّا ولا ولداً.

قال ابن كثير: ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا

وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [النحل: 112 ـ 113].

ما يستفاد من الآية:

1 ـ مظاهر تدبير الله سبحانه وحكمته ورحمته، فسبحانه من إله حكيم رحيم.

2 ـ بيان أفضال الله سبحانه على قريش وإنعامه عليها بإهلاك أصحاب الفيل وصدهم عن مكة، وأمنهم وتوسيع الأرزاق عليهم، مما يتطلب الشكر على هذه النعم.

3 ـ وجوب عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه.

4 ـ وجوب الشكر على النعم، وشكرها حمداً لله تعالى عليها والثناء بها وصرفها في مرضاته.

5 ـ الإطعام من الجوع والأمن من الخوف عليهما مدار الحياة.

سورة الماعون

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ
عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾

تسمية السورة:

سميت سورة الماعون، لأن الله سبحانه ذمّ في نهايتها الذين يمنعون الماعون، وتسمى سورة الدِّين للنعي في مطلعها على الذي يكذب بالدين، أي الجزاء الأخروي.

مناسبتها لما قبلها:

1 ـ أنه لما قال في السورة السابقة: ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ ذم في هذه من لم يحض على طعام المسكين.

2 ـ أنه قال في السورة السابقة: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ وهنا ذم من سها عن صلاته.

3 ـ أن هناك عدد نعمه على قريش، وهم مع ذلك ينكرون البعث، ويجحدون الجزاء، وهنا اتبعه بتهديدهم وتخويفهم من عذابه.

المفردات:

أرأيت: هل عرفت وعلمت، والمراد بذلك تشويق السامع.

الدِّين: الجزاء والحساب.

الذي يدع اليتيم: يدفعه بعنف عن حقه، ويزجره زجراً عنيفاً.

ولا يحض على طعام المسكين: أي لا يحض نفسه ولا غيره على إطعام المسكين.

فويل للمصلين: أي خزي وعذاب شديد للمصلين الساهين عن صلاتهم.

عن صلاتهم ساهون: يؤخرونها عن أوقاتها.

يراؤون: أي يراؤون بصلاتهم وأعمالهم الناس، فلا يخلصون لله تعالى في ذلك.

ويمنعون الماعون: كل ما يستعان وينتفع به: كالإبرة والفأس والقِدْر ونحوه، أي لا يعطون من يسألهم ذلك، مما ينتفع به ويُرد بعينه: كالأواني المنزلية.

المعنى الإجمالي:

تحدثت هذه السورة عن فريقين من البشر، هما:

1 ـ الكافر الجاحد لنعم الله، المكذب بيوم الحساب والجزاء.

2 ـ المنافق الذي لا يقصد بعمله وجه الله، بل يرائي في أعماله وصلاته.

أما الفريق الأول: فقد ذكر الله سبحانه من صفاتهم الذميمة: أنهم يهينون اليتيم، ويزجرونه غلظة لا تأديباً، ولا يفعلون الخير، حتى ولو بالتذكير بحق المسكين والفقير، فلا هم أحسنوا في عبادة ربهم، ولا هم أحسنوا إلى خلقه.

وأما الفريق الثاني: فهم المنافقون الغافلون عن صلاتهم، الذين لا يؤدونها في أوقاتها، والذين يقومون بها صورة لا معنى، المراؤون بأعمالهم، وقد توعدت الفريقين بالويل والهلاك، وشنعت عليهم أعظم تشنيع بأسلوب الاستغراب والتعجب من ذلك الصنيع.

ما يستفاد من السورة:

1 ـ الحث على إطعام اليتيم والمسكين، والتحضيض على ذلك.

2 ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء والحساب.

3 ـ مراعاة الصلاة والمحافظة عليها في أوقاتها، والإخلاص فيها وفي سائر الأعمال.

4 ـ الحث على فعل المعروف، وبذل الأموال الخفيفة: كعارية الإناء والكتاب ونحوه، لأن الله سبحانه ذم من لم يفعل ذلك.

5 ـ التحذير عن صفات المنافقين السابقة.

سورة الكوثر

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣ ﴾

موضوع السورة:

المنح المعطاة للنبي ﷺ.

تسمية السورة:

سُميت سورة الكوثر لافتتاحها بقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ أي الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة. وقيل: نهر في الجنة.

سبب النزول:

نزلت ردًّا على بعض المشركين: وهو العاص بن وائل عندما قال عن النبي ﷺ لما مات ابنه عبد الله من خديجة: إنه أبتر. وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وعامة أهل التفسير، والأبتر من الرجال: الذي لا ولد له، وعن ابن عباس: نزلت في أبي جهل، وهذا يعم جميع من اتصف بعداوة النبي ﷺ، ممن ذكر في سبب النزول وغيرهم.

المفردات:

إنا أعطيناك: وهبنا لك يا محمد.

الكوثر: نهر في الجنة، وقيل: الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة.

فصل لربك: داوم على الصلاة، خالصاً لوجه الله، شكراً لإنعامه.

وانحر: النسك أو الهدي أو الأضحية.

شانئك: مبغضك.

الأبتر: المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب.

المعنى الإجمالي:

يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ أي الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته ما يعطيه الله لنبيه ﷺ من النهر الذي يقال له: الكوثر، ومن ذلك الحوض الذي طوله شهر وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء في كثرتها، واستنارتها، من شَرِبَ منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

ولما ذكر منته عليه أمره بشكرها، فقال: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾.

خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقله في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من الأضاحي

وإخراج المال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به، إن شانئك: أي مبغضك وذامك ومنتقصك هو الأبتر، المقطوع من كل خير، مقطوع الذِّكْرِ.

وأما محمد ﷺ فهو الكامل حقًّا، الذي له الكمال الممكن للمخلوق من رفع الذِّكْرِ وكثرة الأنصار والاتباع له ﷺ، فقد ختمت السورة ببشارة النبي ﷺ بخزي أعدائه ووصفت مبغضيه بالذلة والحقارة والانقطاع عن كل خير في الدنيا والآخرة، بينما ذِكْرُ الرسولِ ﷺ مرفوع على المنابر والمنائر، واسمه الشريف على كل لسان خالد إلى آخر الدهر والزمان.

ما يستفاد من السورة:

1 ـ بيان إكرام الله سبحانه لرسوله محمد ﷺ.

2 ـ تأكيد أحاديث الكوثر، وأنه نهر في الجنة.

3 ـ وجوب الإخلاص في الصلاة والنحر وسائر العبادات.

4 ـ مشروعية الدعاء على الظالم.

5 ـ نصرة الله لعبده ورسوله محمد ﷺ، والرد على أعدائه، وتسليته لنبيه محمد ﷺ.

سورة الكافرون

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾

موضوع هذه السورة:

هي سورة التوحيد، والبراءة من الشرك والضلال، فقد دعا المشركون رسول الله ﷺ إلى المهادنة، وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، فنزلت السورة تقطع أطماع الكافرين، وتفصل النزاع بين الفريقين: أهل الإيمان وعبدة الأوثان، وترد على الكافرين ذلك الاقتراح السخيف في الحال والاستقبال.

تسميتها:

سميت سورة الكافرون، لأن الله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ بأن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد ما يعبدون من الأصنام والأوثان ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ وتسمى سورة الإخلاص ـ وسورة المنابذة والبراءة من الشرك.

مناسبتها لما قبلها:

أمر الله تعالى في السورة السابقة بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وفي هذه السورة سورة التوحيد والبراءة من الشرك تصريح باستقلال عبادته عن عبادة الكفار، فهو لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون من الأوثان والأصنام، وبالغ في ذلك وكرره وأكده، وانتهى إلى أن له دينَه ولهم دينَهم.

فضلها:

ثبت أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد، في ركعتي الطواف، وركعتي الفجر، والركعتين بعد المغرب، ويوتر بسبح، وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد.

سبب نزولها:

أخرج عبد الرزاق عن وهب قال: قالت كفار قريش لرسول الله ﷺ إن سرَّك أن تتبعنا عاماً، ونرجع إلى دينك عاماً، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ إلى آخر السورة، وقيل أسباب أخر مفادها هذا بروايات أخرى.

المفردات:

قل: يا محمد.

يا أيها الكافرون: زعماء الشرك في مكة.

لا أعبد ما تعبدون: في المستقبل.

ولا أنتم عابدون ما أعبد: في المستقبل والحال، وهو الله وحده.

قيل: إن الجملتان للتأكيد. وقيل: إن الآيتين 2ـ3 تدلان على اختلاف في المعبود الذي يُعبد، فالنبي محمد ﷺ يعبد الله، وهم يعبدون الأصنام والأوثان. والآيتان 4ـ5 تدلان على الاختلاف في العبادة نفسها، فعبادة النبي ﷺ عبادة خالصة لله وحده، لا يشوبها شرك ولا غفلة عن المعبود، وعبادتهم كلها شرك وإشراك فلا يلتقيان.

لكم دينكم: وهو الشرك الذي أنتم عليه.

ولي دين: وهو التوحيد والإسلام الذي أنا عليه، لا أرفضه.

فائدة مهمة:

قال الرازي: جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ عند المتاركة، وذلك غير جائز، لأنه تعالى ما أنزل هذا القرآن ليتمثل به، بل ليتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه [تفسير الرازي 148/22].

ما يستفاد من هذه السورة:

1 ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر في الكافر والمؤمن.

2 ـ ولاية الله تعالى لرسوله ﷺ، وعصمته من قبول اقتراح المشركين الباطل.

3 ـ تقرير وجوب المفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر والشرك.

سورة النصر

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾

موضوع هذه السورة:

تتحدث هذه السورة عن فتح مكة، الذي أعزَّ الله به المسلمين، وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية، وتقلمت أظافر الشرك والضلال، وبهذا الفتح المبين دخل الناس في دين الله أفواجاً، وارتفعت راية الإسلام واضمحلت ملة الأصنام، وكان الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه من أظهر الدلائل على صدق نبوته ﷺ.

تسميتها:

سميت سورة النصر لافتتاحها بقوله سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ أي فتح مكة، وتسمى سورة التوديع.

مناسبتها لما قبلها:

لما ذكر سبحانه في السورة السابقة اختلاف دين الرسول الذي يدعو إليه، ودين الكفار الذي يعكفون عليه، أشار في هذه السورة إلى أن دينهم

سيضمحل ويزول، وأن الدين الذي يدعو إليه سيغلب عليه، ويكون هو دين السواد الأعظم من سكان المعمورة.

فضلها:

أخرج الترمذي، وقال: حديث حسن، عن أنس -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ أنه قال فيها: «أنها تعدل ربع القرآن».

سبب نزولها:

أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس -رضي الله عنهم- قال: كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فدعاهم ذات يوم وأدخله معهم قال ابن عباس: فما رأيت غير أنه دعاني فيهم يومئذ ليريهم، فقال: ما تقولون في قول الله -عز وجل-: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ فقال بعضهم: أُمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس، فقلت: لا، فقال: ما تقول: فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له. قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾، فذلك علامة أجلك، ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾، فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول.

المفردات:

إذا جاء نصر الله: أي نصر الله نبيه محمداً ﷺ على أعدائه المشركين.

الفتح: أي فتح مكة.

في دين الله: أي الإسلام.

أفواجاً: جماعات جماعات كثيفة.

فسبح بحمد ربك: أي نزهه عن الشريك متلبساً بحمده.

واستغفره: أي أطلب منه المغفرة توبة منك إليه.

تواباً: كثير القبول لتوبة عباده.

المعنى الإجمالي:

في هذه السورة الكريمة بشارة وأمر لرسول الله ﷺ عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك، فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع ذلك المبشر به.

وأما الأمر: بعد حصول النصر والفتح فأمر رسوله أن يشكره على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره.

وأما الإشارة فإن في ذلك إشارتين:

إشارة أن النصر يستمر للدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمده

واستغفاره من رسوله ﷺ، فإن هذا من الشكر، والله يقول: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾ وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة، لم يزل نصر الله مستمراً حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه من لم يدخل في غيره، حتى حدث في الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلوا بتفريق الكلمة وتشتت الأمر فحصل ما حصل، ومع هذا فقد حصل لهذه الأمة وهذا الدين من رحمة الله ولطفه، ما لم يخطر بالبال ويدور في الخيال، أما الإشارة الثانية: فهي أن أجل رسول الله ﷺ قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل، أقسم الله به، وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار: كالصلاة والحج وغير ذلك.

فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال: إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه، فكان يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللّٰهُمَّ ربنا وبحمدك، اللّٰهُمَّ اغفر لي.

ما يستفاد من السورة:

1 ـ مشروعية نعي الميت، ولكن بدون إعلان وصوت عال.

2 ـ وجوب الشكر عند تحقق النعمة، ومن ذلك سجدة الشكر.

3 ـ مشروعية قول: سبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك، اللّٰهُمَّ اغفر لي. في الركوع

والسجود.

4 ـ دين الله هو الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: 19]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران: 85].

5 ـ فضل التسبيح والتحميد، حيث جعل كافياً في أداء ما وجب على النبي ﷺ وأمته من شكر نعمة النصر والفتح.

سورة المسد

﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥ ﴾

موضوع هذه السورة:

جزاء أبي لهب وامرأته، فقد تحدثت عن هلاك أبي لهب عدو الله ورسوله، الذي كان شديد العداء لرسول الله ﷺ، يترك شغله ويتبع الرسول ﷺ، ليفسد عليه دعوته، ويصد الناس عن الإيمان به، وقد توعدته السورة في الآخرة بنار موقدة، يصلاها ويشوى بها. وقرنت زوجته به في ذلك لمشاركتها له في العداء والإيذاء.

تسميتها:

سميت سورة المسد لقوله تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾، أي في عنق أم جميل زوجة أبي لهب حبل مفتول من ليف.

وسميت أيضاً سورة **تبت** لقوله تعالى في مطلعها ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ أي هلكت وخسرت يدا أبي لهب.

كما **سميت** سورة أبي لهب، أو سورة اللهب.

مناسبتها لما قبلها:

ذكر الله سبحانه في سورة النصر: أن جزاء المطيع حصول النصر والفتح في الدنيا والثواب في الآخرة، وفي هذه السورة ذكر عاقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة.

المفردات:

تبت يدا أبي لهب: أي خسرت يدا أبي لهب بن عبد المطلب، أي خسر عمله.

وتب: تأكيد وخبر، أي خسر هو بذاته، إذ هو من أهل النار.

ما أغنى عنه ماله وما كسب: أيْ أيّ شيء أغنى عنه ماله لما سخط الله تعالى عليه، وعذَّبه في الدنيا والآخرة.

وما كسب: أي من المال والولد وغيرهما.

سيصلى ناراً ذات لهب: أي توقد واشتعال.

وامرأته: أم جميل العوراء.

حمالة الحطب: أي تحمل شوك السعدان، وتلقيه في طريق النبي ﷺ أذية له وكرهاً.

في جيدها: أي في عنقها.

حبل من مسد: أي من ليف.

سبب نزول السورة:

روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ صعد رسول الله ﷺ الصفا، فقال: «**يا صباحاه**»، فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟! فقال: «**أرأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟**»، قالوا: بلى، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، قال أبو لهب: تبًّا لك، ألهذا دعوتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ ﴾.

المعنى الإجمالي:

تحدثت هذه السورة عن هلاك أبي لهب عم النبي ﷺ، وكان شديد العداوة والأذية له، فلا دين له ولا حمية للقرابة قبحه الله، فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة، فقال: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ ﴾، أي خسرت يداه وشقي.

وتب: فلم يربح.

ما أغنى عنه ماله: الذي كان عنده فأطغاه.

وما كسب: لم يَرُدّ عنه شيئاً من عذاب الله إذا نزل به.

سيصلى ناراً ذات لهب: أي ستحيط به النار من كل جانب هو وامرأته حمالة الحطب، وكانت شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقى الشر وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ، حيث كانت تأتي بشوك السعدان وتضعه في طريق النبي ﷺ، ﴿ **فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾ أي في عنقها حبل من ليف، بهذا حكم الله تعالى على أعدائه وأعداء رسوله ﷺ.

ما يستفاد من الآيات:

1 ـ بيان حكم الله بهلاك أبي لهب وإبطال كيده، الذي كان يكيده لرسول الله ﷺ.

2 ـ لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئاً من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مراضيه.

3 ـ حرمة أذية المؤمنين مطلقاً.

4 ـ عدم إغناء القرابة شيئاً مع الشرك والكفر، إذ أبو لهب عم النبي ﷺ وهو في النار ذات اللهب.

5 ـ في هذه السورة آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولابد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة.

سورة الإخلاص

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾

موضوع هذه السورة:

تتحدث عن صفات الله جلّ وعلا الواحد الأحد، الجامع لصفات الكمال، المقصود على الدوام، الغني عن كل ما سواه، المنزّه عن صفات النقص، وعن المجانسة والمماثلة، وردت على النصارى القائلين بالتثليث، وعلى المشركين الذين جعلوا لله الذرية والبنين، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً.

تسميتها:

سميت بأسماء كثيرة، أشهرها سورة الإخلاص، لأنها تتحدث عن التوحيد الخالص لله -عز وجل-، الـمُنَزّه عن كل نقص، الـمُبَرّأ من كل شرك.

مناسبتها لما قبلها:

سورة (الكافرون) للتبرؤ من جميع أنواع الكفر والشرك، وهذه السورة لإثبات التوحيد لله تعالى، المتميز بصفات الكمال، المقصود على الدوام،

الـمُنَزّه عن الشرك والشبيه. ولذا قرن بينهما في القراءة في صلوات كثيرة، كركعتي الفجر والطواف، وسنة المغرب، والاستخارة، وصلاة المسافر.

فضلها:

وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه السورة، وأنها تعدل في ثواب قراءتها ثلث القرآن، فقد روى مسلم والترمذي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**»، فحشد من حشد، ثم خرج النبي ﷺ، فقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾،ثم دخل فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله ﷺ: فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، إني لأرى هذا جاء من السماء، ثم خرج نبي الله ﷺ، فقال: إني قلت: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن.

سبب نزول السورة:

أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: يا محمد انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

المفردات:

قل هو الله أحد: أي قل يا محمد لمن سألك عن ربك: هو الله أحد.

الله الصمد: أي الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

الصمد: السيد الذي يُصمد إليه في قضاء الحوائج على الدوام.

لم يلد: أي لا يفنى، إذ لا شيء يولد إلا وهو فان بائد، لا محالة.

ولم يولد: أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكان، فهو كائن أولاً وأبداً.

ولم يكن له كفواً أحد: أي لم يكن أحد شبيه أو مثيل له، ليس كمثله شيء.

المعنى الإجمالي:

أي قل قولاً جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه: هو الله أحد أي قد انحصرت فيه الأحدية. فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل، الله الصمد: أي المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار. ويسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي كمل في حلمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه.

ومن كمالاته أنه لم يلد ولم يولد لكمال غناه، ولم يكن له كفواً أحد: لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله تبارك وتعالى، فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.

ما يستفاد من السورة:

1 ـ معرفة الله بأسمائه وصفاته.

2 ـ تقرير التوحيد والنبوة.

3 ـ بطلان نسبة الولد إلى الله تعالى.

4 ـ وجوب عبادة الله وحده لا شريك له فيها، إذ هو الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه دون سواه.

سورة الفلق

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣
وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥ ﴾

تسميتها:

سميت سورة الفلق لافتتاحها بقوله سبحانه: قل أعوذ برب الفلق.

موضوع السورة:

الاستعاذة من شر المخلوقات، ففيها تعليم للعباد: أن يلجأوا إلى حمى الرحمن، ويستعيذوا بجلاله وسلطانه من شر مخلوقاته. ومن شر الليل إذا أظلم، لما يصيب النفوس فيه من الوحشة، ولانتشار الأشرار والفجار فيه. ومن شر كل حاسد، وساحر وهي إحدى المعوذتين اللتين كان ﷺ يعوذ نفسه بهما.

مناسبتها لما قبلها:

لما أبان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمر الألوهية في سورة الإخلاص لتنزيه الله سبحانه عما لا يليق به في ذاته وأسمائه وصفاته، أبان في هذه السورة وما بعدها وهما المعوذتان، ما يستعاذ بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته الذين

يصدون عن توحيد الله: كالمشركين وسائر شياطين الإنس والجن.

فضل المعوذتين:

روى مسلم في صحيحه وأحمد والترمذي والنسائي عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُرَ مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس».

وروى البخاري وأهل السنن في الاستشفاء بهذه السور الثلاث المعوذات ـ عن عائشة -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما وقرأ فيهما ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، و ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾، و ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

سبب نزول المعوذتين:

السبب قصة سحر لبيد بن الأعصم اليهودي رسول الله ﷺ، كما جاء في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها-، فإنه سحره في جف (قشر الطلع) فيه مشاطة رأسه ﷺ وأسنان مشطه ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروز بالإبر، فأنزلت عليه المعوذتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد ﷺ في نفسه خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام فكأنما نشط من عِقال، وجعل جبريل يَرقِي رسول الله ﷺ، فيقول: باسم الله أرقيك:

من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين، والله يشفيك.

المفردات:

أعوذ: ألجأ.

الفلق: شق الشيء وفصل بعضه عن بعض، ومنه فالق الإصباح، فالق الحب والنوى، فقيل: هو الصبح.

الرب: المالك المتصرف، وهو الله سبحانه.

والرب: هنا أوقع من سائر أسمائه، لأن الإعاذة من المضار تربية وعناية.

من شر ما خلق: من حيوان وجماد.

غاسق: ليل اشتد ظلامه.

وقب: دخل ظلامه، وتخصيصه لأن المضار تكثر فيه، ويعسر الدفع.

النفاثات: السواحر، اللائي ينفثن في العُقد.

في العُقد: جمع عقدة، وهي ما يعقد من حبل أو خيط أو نحوهما.

النفث: النفخ مع ريق يخرج من الفم.

حاسد: هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير.

المعنى الإجمالي:

أي قل متعوذاً أعوذ أي ألجأ وألوذ وأعتصم برب الفلق أي فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح من شر ما خلق وهذا يشمل جميع ما خلق الله من إنس وجن وحيوانات، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها.

ثم خص بعدما عم فقال: ومن شر غاسق إذا وقب أي من شر ما يكون في الليل حين يغشى الناس، وينتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة والحيوانات المؤذية. ومن شر النفاثات في العقد أي ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر، ومن شر حاسد إذا حسد والحاسد: هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود، فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره وإبطال كيده.

ويدخل في الحاسد العاين ـ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع خبيث النفس.

فهذه السورة تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور عموماً وخصوصاً، ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره ويستعاذ بالله منه ومن أهله.

ما يستفاد من السورة:

1 ـ وجوب التعوذ بالله والاستعاذة به سبحانه من كل مخوف لا يقدر

المرء على دفعه لخفائه أو عدم القدرة عليه.

2 ـ تحريم النفث في العقد إذ هو من السحر، والسحر كفر وحد الساحر ضربه بالسيف.

3 ـ تحريم الحسد قطعيًّا، وهو داء خطير، حمل ابن آدم على قتل أخيه، وحمل إخوة يوسف على الكيد له، وبه أخرج آدم من الجنة.

4 ـ الغبطة: ليست من الحسد، للحديث الصحيح: «**لا حسد إلا في اثنتين**» إذ المراد الغبطة.

5 ـ دلت هذه السورة على أن السحر له حقيقة، يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله.

6 ـ ويدخل في الحاسد ـ العائن، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس.

7 ـ خصص الله تعالى إرشادنا وتعليمنا الاستعاذة من أصناف ثلاثة هي: الليل إذا عظم ظلامه ـ لأنه في الليل كما ذكر الرازي تخرج السباع من آجامها، والهوام من مكانها، ويهجم السارق والمكابر، ويقع الحريق، ويقل فيه الغوث، وينبعث أهل الشر على الفساد. وكذلك الساحرات والحاسد، وقد تقدم شرح ذلك.

سورة الناس

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ
ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾

تسمية السورة:

سميت سورة الناس لابتدائه بقل أعوذ برب الناس، وتكررت كلمة الناس فيها خمس مرات.

موضوع سورة الناس:

الاستجارة والاحتماء برب الأرباب من شر أعدى الأعداء، إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن، الذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء.

فائدة مهمة:

خُتم الكتاب العزيز بالمعوذتين وبُدئ بالفاتحة ليجمع بين حسن البدء وحسن الختم، وذلك غاية في الحسن والجمال، لأن العبد يستعين بالله ويلتجئ إليه من بداية الأمر إلى نهايته.

معاني الكلمات:

أعوذ: ألوذ وأعتصم وألتجئ وأتحصن وأستجير.

برب الناس: خالقهم ومالكهم ومربيهم.

ملك الناس: سيد الناس ومالكهم وحاكمهم.

إله الناس: أي معبود الناس بحق، إذ لا معبود بحق سواه.

من شر الوسواس: أي من شر الشيطان، سمي بالمصدر لكثرة ملامسته.

الخناس: الذي يخنس ويتأخر عن القلب عند ذكر الله تعالى.

في صدور الناس: أي في قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله.

من الجنة والناس: أي من شيطان الجن ومن شيطان الإنس.

المعنى الإجمالي:

هذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم من الشيطان، الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم الشر ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويثبطهم عن الخير، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائماً بهذه الحال يوسوس، ثم يخنس أي يتأخر عن الوسوسة إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه، فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وإن الخلق كلهم دخلوا تحت الربوبية، والملك، فكل

دابة هو آخذ بناصيتها، وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا يتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها، ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس.

قال ابن كثير -رحمه الله-: هذه ثلاث صفات من صفات الرب -عز وجل-: الربوبية، والملك، والإلهية.

فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة له عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين، يزين له الفواحش ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمة الله. وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكّل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» وفي ذلك روايتان، فمن فتح قال أسلم أي إن القرين أسلم، من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير، ومن رفع أسلمُ أي أسلمُ أنا من شره وفتنته، من السلامة.

فائدة:

قال ابن عباس -رضي الله عنه-: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن هو ذكر الله خنس، وإن نسيه التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس**».

ما يستفاد من الآيات:

1 ـ الاستعاذة بالله والالتجاء إليه والاعتصام به من الشيطان.

2 ـ الاستعاذة بربوبية الله وملكه وإلاهيته وأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

3 ـ تشريف الناس على سائر المخلوقات، حيث خصهم بالذكر مع أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه.

4 ـ عداوة الشيطان لابن آدم ومحاولته إضلالهم بالوسوسة.

5 ـ التحذير من الشيطان ووساوسه، ومن الغفلة عن ذكر الله.

6 ـ أن ذكر الله يطرد الشيطان، فيولي خاسئاً وهو حسير.

7 ـ الاستعاذة بالله عبادة، فصرفها لغيره شرك.

8 ـ الاستعاذة بالله من شر شياطين الجن والإنس.

9 ـ انفراد الله سبحانه بالربوبية والملك والإلهية لجميع المخلوقات.

10ـ إن الشيطان يوسوس في صدور الجن، كما يوسوس في صدور الإنس.

الدرس الثاني:

أركان الإسلام

بيان أركان الإسلام الخمسة، وأولها وأعظمها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله بشرح معانيها، مع بيان شروط لا إله إلا الله، ومعناها: **(لا إله)** نافياً جميع ما يُعبد من دون الله **(إلا الله)** مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له.

وأما شروط **(لا إله إلا الله)** فهي: العلم المنافي للجهل، واليقين المنافي للشك، والإخلاص المنافي للشرك، والصدق المنافي للكذب، والمحبة المنافية للبغض، والانقياد المنافي للترك، والقبول المنافي للرد، والكفر بما يعبد من دون الله.

وقد جمعت في البيتين الآتيين:

علـم يقـين وإخـلاص وصـدقك مـع
محبـــة وانقيـــاد والقبـــول لهـــا
وزيـد ثامنهـا الكفـران منـك بمـا
ســوى الإله مــن الأشــياء قــد ألهـا

مع بيان شهادة أن محمداً رسول الله، ومقتضاها: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرعه الله -عز وجل-، ورسوله ﷺ.

ثم يبين للطالب بقية أركان الإسلام الخمسة، وهي: الصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

1 ـ التعريف بالإسلام:

والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، ولقد كان الشرك عقيدة العرب قبل ظهور دعوة محمد ﷺ، روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: «**كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه، ثم طفنا به**».

أما حال الأمم عامة قبل ظهور دعوته ﷺ، فقد بيّنها القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله -عز وجل-: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: 18]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: 3]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٧ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٨ ﴾

[الأعراف: 27 ـ 28]، إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: 30]، وقال -عز وجل-: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: 136].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، ودلّت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وما ذكره كُتّاب السيرة النبوية والمؤرخون والثقات بأحوال الأمم: أن أهل الأرض قد تنوع شركهم قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام، فمنهم من يعبد الأصنام والأوثان، ومنهم من يعبد أصحاب القبور، ومنهم من يعبد الشمس والقمر والكواكب، ومنهم من يعبد غير ذلك، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى أن يعبدوا الله وحده، وأن يدعوا ما هم عليه وآباؤهم من الباطل، كما قال الله -عز وجل-: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: 158].

وقال سبحانه: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: 1].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: 45 ـ 46]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: 5]. وقال -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: 21]. وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ...﴾ [الإسراء: 23]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد أوضح سبحانه في آيات كثيرات: أن هؤلاء المشركين كانوا مع شركهم وكفرهم يعترفون بأن الله خالقهم، ورازقهم، وإنما عبدوا غيره على أنه واسطة بينهم وبين الله، كما سبق في قوله سبحانه: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: 18]. وما جاء في معناه من الآيات، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾ [يونس: 31]. وقوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٨٧﴾ [الزخرف: 87]، وغيرها من آيات كثيرات صريحة في هذا المعنى[3].

الركن الأول من أركان الإسلام:

(3) مجموعة فتاوى ومقالات للشيخ عبد العزيز بن باز ~ (2: 203).

«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

عناصر شرح أركان الإسلام:

1 ـ مقدمة عن الإسلام عموماً.

2 ـ الكلام عن لا إله إلا الله.

(أ) معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

(ب) شروطها.

(ج) فضائلها.

(د) أركان الشهادتين.

(و) شروط لا إله إلا الله.

(ز) آثارها.

3 ـ نواقض الشهادتين.

«شهادة أن محمداً رسول الله»:

(أ) معناها.

(ب) أركانها.

الدرس الثاني من الدروس المهمة لعامة الأمة بعد التفسير: شهادة أن لا

إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

معنى لا إله إلا الله ومفهومها:

إن كلمة التوحيد العظيمة: لا إله إلا الله. تشتمل على معان عظيمة وجليل، ولن يستطيع العبد أن يعمل بمقتضى تلك الكلمة، إلا بعد أن يفهم تلك المعاني ويحيط بها، وذلك ليعمل بها على علم وبصيرة، وقد ورد ذكر هذه الكلمة في كتاب الله العزيز أكثر من ثلاثين مرة.

معنى شهادة أن لا إله إلا الله:

الشهادة لغة: الإخبار عن علم به واعتقاد لصحته وثبوته.

الشهادة شرعاً: الإقرار والاعتراف والتصديق والاعتقاد بأنه: لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له، فمعنى لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك والعمل به، فعبادة الله وعدم الإشراك به هذا معنى: لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: 19]، يعني: اعلم أنه المستحق للعبادة، وأنه لا عبادة لغيره، بل هو المستحق لها وحده، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة لغيره -عز وجل-.

كما دلّت الأحاديث الكثيرة وأجمعت الأمة على أن كلمتي الشهادة «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» هما الركن الأول للإسلام، وعليهما تبنى

الأعمال، ولا يقبل أي عمل دونهما، فقد روى أئمة الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً».

وإذا نظرنا إلى هذه الأركان الخمسة نرى أن كل واحد يتعلق بجانب هام من الإنسان، وأن كل واحد في زاوية يُكوِّنُ ركناً قويًّا وعموداً شديداً لبيت الإسلام الذي يأوي إليه المؤمن، فكلمة الشهادة تستحوذ على القلب، وتظهر آثارها على الجوارح.

والصلاة تتعلق بجميع الأعضاء بالإضافة إلى كونها الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه.

ويأتي دور توثيق الصلة بالناس، وذلك من خلال دفع الزكاة من الأغنياء إلى الفقراء.

ثم إن الإنسان مؤلف من روح وجسم ومن صفاء وشهوة، فلو ترك الإنسان لأدى ذلك إلى البعد عن الله تعالى، ولذلك شرع الصوم لتصفية روحه وتصفية نفسه وصقلها، وبعد أن امتلأ القلب بالإيمان والجوارح والخشوع لله تعالى وسخرت الأموال لما يريده الله تعالى، يأتي دور تقوية الروابط الاجتماعية بين العالم الإسلامي، وذلك من خلال مؤتمرهم الكبير

الحج الذي يأتي إليه الناس من كل فج عميق.

ويمكن أن يعبر عن الأركان بأن كلمة الشهادة امتحان للقلب، والصلاة امتحان للأعضاء ومدى استطاعة العبد تنظيم نفسه وأوقاته، وأن الزكاة امتحان للإنسان في ماله، والصوم امتحان لمدى قدرته على ترك الشهوات لأجل خالقه ومولاه تعالى، وأن الحج امتحان لمدى قدرته على تحمل المشاق وأتعاب السفر في سبيل الله تعالى[4].

مكانة لا إله إلا الله:

فإنها كلمة يعلنها المسلمون في أذانهم وإقامتهم وفي خطبهم ومحادثاتهم، وهي كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد

(4) معنى لا إله إلا الله ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت 794.

بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ وجواب الأولى بتحقيق لا إلٰه إلا الله معرفة وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وانقياداً وطاعة(5).

هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم كلمة باقية في عقبه، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨ ﴾ [الزخرف: 28].

وهي التي شهد الله بها لنفسه، وشهد بها ملائكته وأولو العلم من خلقه، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران: 18](6).

فضل لا إلٰه إلا الله:

لها فضائل عظيمة ولها مكانة رفيعة، من قالها صادقاً أدخله الله الجنة، ومن قالها كاذباً حقنت دمه وأحرزت ماله في الدنيا وفي الآخرة حسابه على الله، وكان له حكم المنافقين. ولهذه الكلمة العظيمة فضائل كثيرة، ذكر جملة منها الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة "كلمة الإخلاص": ومنها أنها ثمن الجنة، ومن كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة، وهي نجاة من النار،

---

(5) زاد المعاد.

(6) محاضرات في العقيدة، د. صالح الفوزان (61).

وتوجب المغفرة، وهي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب، وهي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله -عز وجل-، وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها، وهي أفضل ما قاله النبيون، وهي أفضل الذكر، وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً، وتعدل الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان، وهي أمان من هول الحشر، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم، ومن فضائلها: أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. ومن فضائلها: أن أهلها وإن دخلوا النار لتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها.

هذه عناوين الفضائل التي ذكرها ابن رجب -رحمه الله- في رسالته "كلمة الإخلاص من ص54 ـ 66 واستدل لكل واحد منها".

أركان لا إله إلا الله ركنان:

1 ـ النفي "لا إله" يبطل الشرك بجميع أنواعه، ويوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

2 ـ الإثبات "إلا الله"، يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله.

وقد جاء معنى ذلك في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ [البقرة: 256].

﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ وهو معنى الركن الأول، ﴿ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ معنى الركن الثاني.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ ﴾ [الزخرف: 26 ـ 27].

﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ ﴾ هو معنى الركن الأول ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ هو معنى الركن الثاني.

معنى شهادة أن محمداً رسول الله، كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

فطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 31]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: 32].

وتصديق الرسول ﷺ في الأخبار الماضية والمستقبلة مما كان من أمور الغيب من أوجب الواجبات واجتناب ما ينهى عنه رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: 7]، وقال ﷺ: «ما أمرتكم من أمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» وألاّ يعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ ولهذا كان من شرطي قبول العمل المتابعة لرسول الله ﷺ، قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وأركان شهادة أن محمداً رسول الله ركنان:

1 ـ الاعتراف برسالته ﷺ.

2 ـ اعتقاد عبوديته ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» فلا يرفع فوق منزلته عليه الصلاة والسلام، فيكون له خصيصة من خصائص الألوهية، فيعتقد أنه يعلم الغيب أو ينفع ويضر، أو أنه يقضي الحاجات ويفرج الكربات، وقد وصفه الله بالعبودية في أشرف المقامات.

(أ) في إنزال القرآن ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: 1].

(ب) في الإسراء ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1].

(ج) في مقام الصلاة والدعاء ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: 19].

(د) في مقام الحفظ والكفاية ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: 36].

لقد أكرم الله محمداً ﷺ ومَنَّ عليه بخصال كثيرة وصفات عظيمة رفع بها قدره وأعلى شأنه بين جميع خلقه.

1 ـ أنه ﷺ ذكر فيمن ذكر من الأنبياء في الوحي في قوله سبحانه:
﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163].

2 ـ أنه خاتم النبيين ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: 40].

3 ـ وهو أول المسلمين ﴿ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ [الأنعام: 14].

4 ـ ومن عظيم قدره أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: 6].

5 ـ وهو الشافع المشفع يوم المحشر، وأنه نبي الرحمة، خير الخلق، وعموم رسالته للثقلين، وأنه سيد ولد آدم، وأنه نبي الإسلام.

شروط لا إله إلا الله سبعة:

ذكر العلماء أن لكلمة الإخلاص شروطاً سبعة، وبعضهم عددها ثمانية. ونظمها بعضهم في قوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع
محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما
سوى الإله من الأوثان قد ألها

1 ـ العلم: فإذا علم العبد أن الله -عز وجل- هو المعبود وحده، وأن عبادة غيره باطلة، وعمل بمقتضى ذلك، فهو عالم بمعناها، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾، وقال ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».

2 ـ اليقين: فيجب على من أتى بها أن يوقن بقلبه ويعتقد صحة ما يقول من أحقية إلهية الله تعالى، وبطلان إلهية من عداه. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾ [البقرة: 4].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاكّ فيها إلاّ دخل الجنة» رواه مسلم.

وعنه -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال له: «من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أنه لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة» [رواه مسلم].

وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾ [الحجرات: 15]، أي لم يشكوا، بل هم موقنون تمام الإيقان، فأما المرتاب فهو من المنافقين، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [التوبة: 45].

3 ـ الإخلاص المنافي للشرك، وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله وابتغاء مرضاته، ليس فيها شائبة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: 5]. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله. خالصاً من قلبه**» رواه البخاري.

وعن عثمان -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله**» رواه البخاري.

4 ـ الصدق المنافي للكذب: وذلك بأن يصدق مع الله في إيمانه: صادقاً في عقيدته صادقاً في أقواله، صادقاً في دعوته، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: 119] عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد يشهد: أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. صادقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار**» رواه البخاري.

5 ـ المحبة المنافية للبغض: فيحب هذه الكلمة وما تدل عليه وأهلها العاملين بمقتضاها، فيحب الله ورسوله، ويقدم محبتهما على كل محبوب ﴿

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: 165].

6 ـ الانقياد المنافي للشرك، وهو الاستسلام والإذعان لِمَا تدل عليه هذه الكلمة العظيمة، قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الزمر: 54]، والاستسلام هو الانقياد لأوامر الله، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ ﴾ [لقمان: 22]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: 125]. وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: 65].

7 ـ القبول المنافي للرد: أي يقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ فمن قالها ولم يقبل ذلك كان ممن قال الله فيهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: 35 ـ 36].

8 ـ الكفر بما يعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: 256].

وقال ﷺ: **«من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرّم ماله ودمه وحسابه على الله»** رواه مسلم.

من آثار لا إله إلا الله:

لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً، آثار حميدة على الفرد والجماعة، من أهمها:

1 ـ اجتماع الكلمة التي ينتج عنها حصول القوة للمسلمين، والانتصار على عدوهم، لأنهم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: 103].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: 62 ـ 63].

والاختلاف في العقيدة يسبب التفرق والنزاع والتناحر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: 159]، وقال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المؤمنون: 53]، ويظهر ذلك في حال العرب قبل الإسلام وبعده.

2 ـ توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الموحِّد، الذي يدين بلا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10]، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح: 29]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ

﴿إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: 103].

3 ـ حصول السعادة والاستخلاف في الأرض وصفاء الدين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: 55] فربط الله سبحانه هذه المطالب بعبادته وحده لا شريك له.

4 ـ حصول الطمأنينة النفسية والاستقرار الذهبي لمن قال: لا إله إلا الله عاملاً بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: 39].

5 ـ حصول السمو والرفعة لأهل لا إله إلا الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾ [الحج: 31]. فدلت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع، وأن الشرك هبوط وسقوط وسفول.

6 ـ عصمة الدم والمال والعرض، قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**» قوله: بحقها معناه: أنهم إذا لم يقوموا بحقها من التوحيد والابتعاد عن الشرك لا تنفعهم.

ولهذه الكلمة آثار عظيمة على الفرد والمجتمع في العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق.

فجاءت بعثة سيدنا محمد ﷺ بدين الإسلام الخاتم ليس للعرب وحدهم، بل وللناس كافة، جاءت في وقت البشرية جمعاء بأمسّ الحاجة إلى من يخرجهم من الظّلمات إلى النور.

أركان الإسلام:

هذا الدين العظيم وهو الإسلام يقوم على أسس وقواعد خمس: وهي أركانه، كما في الصحيحين عن ابن عمر -رضي الله عنهم-، قال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».

فالشهادتان أول أركان الإسلام وأهمها، وهذه الكلمة العظيمة ليست عبارة تنطق باللسان فحسب، وإن كان بهما يصبح مسلماً ظاهراً، بل الواجب العمل بمدلولهما، ويتضمن ذلك إخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بأنه المستحق لها، وأن عبادة ما سواه باطلة.

كما يقتضي مدلولهما محبة الله سبحانه، ومحبة رسوله ﷺ، وهذه المحبة تقتضي عبادة الله وحده وتعظيمه واتباع سنة نبيه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:

31]، كما أن مدلولهما: طاعة رسول الله فيما أمر به، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر: 7]، وجاء في الحديث المتفق على صحته: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..» الحديث، وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

أما الركن الثاني من أركان الإسلام، فهو إقامة الصلاة: وهي أهم وآكد الأركان بعد الشهادتين، إذ هي عمود الدين، وأول ما يُحاسب عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته: فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وهي عبادة تؤدى في وقتها المحدد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ۝١٠٣ ﴾ [النساء: 103]، وأمرنا الله ﷻ بالمحافظة عليها، فقال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨ ﴾ [البقرة: 238]. يدل ما تقدم على أن من الواجبات المحافظة عليها في أوقاتها، وأن لها أوقاتاً معلومة لها تؤدى فيها.

وقد توعد الله ﷻ من يتهاون بها ويؤخرها عن وقتها، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ ﴾ [مريم: 59]، وقال سبحانه: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ [الماعون: 4 ـ 5]، فتأخير الصلاة عن وقتها هو من تضييعها، وليس معنى أضاعوها تركوها، لأن الترك كفر والعياذ بالله

تعالى.

والصلاة هي العلامة المميزة بين الإسلام والكفر والشرك. روى مسلم في صحيحه عن جابر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة». وفي حديث بريدة -رضي الله عنه-: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» أخرجه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح.

الصلاة: صلة بين العبد وبين ربه، قال النبي ﷺ: «إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه» [رواه البخاري]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «قَسّمت الصلاة بيني وبين عبد نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجّدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل» [رواه مسلم].

الصلاة: روضة عبادات فيها من كل زوج بهيج، تكبير يفتتح به الصلاة، وقيام يتلو فيه المصلي كلام الله، وركوع يعظم فيه الرب، وقيام من الركوع يملؤه بالثناء على الله، وسجود يسبح الله تعالى فيه بعلوه، ويبتهل إليه بالدعاء، وقعود للدعاء والتشهد، وختام بالتسليم.

الصلاة: عون في المهمات ونهي عن الفحشاء والمنكرات، قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [البقرة: 45]، وقال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ [العنكبوت: 45].

الصلاة: نور المؤمنين في قلوبهم ومحشرهم، قال النبي ﷺ: «**الصلاة نور**» [رواه مسلم]،وقال: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة**» [أحمد وابن حبان والطبراني].

الصلاة: سرور نفوس المؤمنين وقرة أعينهم، قال النبي ﷺ: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**» [أحمد والنسائي].

الصلاة: تمحى بها الخطايا وتكفر السيئات، قال النبي ﷺ: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات: هل يبقى من درنه (وسخه) شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» [البخاري ومسلم]، وقال ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر**» [مسلم].

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى، وأنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم

كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة ويحط عنه سيئة، ولقد رأينا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف. [مسلم].

الخشوع في الصلاة: (وهو حضور القلب)، والمحافظة عليها من أسباب دخول الجنات، قال الله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون: 1 ـ 11].

الإخلاص لله تعالى في الصلاة وأداؤها كما جاءت به السنة هما الشرطان الأساسيان لقبولها، قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» [البخاري ومسلم]. وقال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»

[البخاري][7].

والواجب أن تؤدى الصلاة جماعة في المسجد، لما لها من الفضل العظيم، فعن ابن عمر -رضي الله عنهم- قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة جماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**» متفق عليه. ولقد همّ رسول الله ﷺ بتحريق البيوت على رجال يتخلفون عن صلاة الجماعة. في حديث متفق عليه، وقال النبي ﷺ: «**من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر**» أخرجه ابن ماجه والدارقطني وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح. وذلك يدل على عظم شأن أدائها في الجماعة.

وأمر النبي ﷺ من لم يطمئن في صلاته أن يعيدها.

والصلاة مظهر من مظاهر المساواة والأخوة والانتظام، وتوحيد وجهتهم إلى الكعبة المشرفة قبلتهم. وكان ﷺ إذا حز به أمر فزع إليها، لقوله تعالى: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: 153]، وكان يقول لبلال: «**يا بلال أرحنا بها**» لأن المسلم إذا وقف للصلاة إنما يقف أمام خالقه ﷻ: فيستريح قلبه، وتطمئن نفسه، وتخشع جوارحه، وتقر عينه بربه ومولاه -عز وجل-.

حكم ترك الصلاة:

ومن المنكرات الظاهرة: ترك الصلاة من كثير ممن يدعي الإسلام؛ وترك

(7) من رسالة الصلاة للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

الصلاة كفر كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بين الرجل والكفر أو الشرك ترك الصلاة**»، وقال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»، ومن ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع. فهي عمود الإسلام، ولا دين ولا إسلام لمن تركها. وترك الصلاة من أسباب دخول النار، قال تعالى عن المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: 42 ـ 43]،وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: 31]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: 72]. ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:11]، فجعل إقامة الصلاة شرطاً في قبول التوبة والدخول في الإسلام، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: 47 ـ 48]، وأجمع علماء السلف والخلف على قتل من أصر على تضييعها وتكاسل عن أدائها، والآيات والأحاديث في كفر تارك الصلاة ومضيعها أكثر من أن تحصر.

وقد أصبح حال كثير من الناس اليوم لا يصلي الفجر حتى تطلع الشمس ـ والعياذ بالله ـ وإن من إضاعة الصلاة ترك الجماعة مع القدرة على ذلك، قال ﷺ: «**من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له**»، وقال: «**لا صلاة لجار المسجد إلا بالمسجد**»، وجار المسجد من سمع النداء. وقال: «**من سمع**

النداء فلم يجب صُبّ في أذنيه الآنكُ يوم القيامة»، ولا يتخلف عن صلاة الجماعة إلا منافق، كما قال ابن مسعود -رضي الله عنه-. ومن إضاعة الصلاة تخفيفها وعدم الطمأنينة فيها في الركوع والسجود ومسابقة الإمام فيها، فمن سابق الإمام فلا وحده صلى ولا بإمامه اقتدى، ناصيته بيد الشيطان. وتخفيف الصلاة وعدم الطمأنينة فيها ومسابقة الإمام مناف للخشوع، الذي هو ثمرة الصلاة وروحها، ولا تقبل صلاة بدون خشوعٍ، بل تلف كما يلف الثوب الخَلِق، ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيَّعك الله كما ضيَّعتني، كما صح ذلك في الأحاديث الواردة عنه ﷺ.

أما شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، فسيأتي قريباً تبيان ما يلزم المصلي، فسنذكره في محله إن شاء الله.

الركن الثالث: من أركان الإسلام الزكاة، فهي قرينة الصلاة في آي القرآن وأحاديث النبي الكريم ﷺ، وهي فريضة اجتماعية سامية تشعر المؤمن بسمو أهداف الإسلام: من عطف ورحمة وحب وتعاون بين المسلمين، وليس لواحد منَّة أو فضل فيما يقدمه من مال، إنما هو حق واجب، ولأنه في الحقيقة مال الله الذي استخلفه فيه، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: 33]، وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد: 7]، ولأهميتها قاتل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بعض

قبائل العرب عندما منعوا زكاة أموالهم، وقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، وتابعه الصحابة -رضي الله عنهم- على ذلك.

ولقد توعّد الله سبحانه وتعالى من بخل عن الإنفاق، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة: 34].

وتجب الزكاة على المسلم إذا بلغ نصاباً من أي نوع من أنواع المال الزكوي إذا حال عليه الحول ما عدا الحبوب والثمار، فإن الزكاة تجب فيها عند نضجها وتمام استوائها، وإن لم يحل عليها الحول. وتعطى لمستحقيها كما وردت أصنافهم في القرآن الكريم في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة: 60].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في كلمة له حول فريضة الزكاة:

والتذكير بفريضة الزكاة التي تساهل بها الكثير من المسلمين؛ فلم يخرجوها على الوجه المشروع، مع عظم شأنها، وكونها أحد أركان الإسلام الخمسة، التي لا يستقيم بناؤها إلا عليها، لقول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء**

الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت». متفق على صحته.

فوائد الزكاة:

1 ـ فرض الزكـاة على المسلمين من أظهر محاسن الإسلام، ورعايته لشؤون معتنقيه، لكثرة فوائدها، ومسيس حاجة فقراء المسلمين إليها.

2 ـ فمن فوائدها تثبيت أواصر المودة بين الغني والفقير، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

3 ـ ومنها تطهير النفوس وتزكيتها، والبعد بها عن خلق الشح والبخل، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: 103].

4 ـ ومنها تعويـد المسلـم صفة الجود، والكرم، والعطف على ذوي الحاجة.

5 ـ ومنها استجـلاب البركـة، والزيادة والخلَف، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ: 39] وقول النبي ﷺ: «يقول الله -عز وجل-: يا ابن آدم أنفق ننفق عليك»... إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وعيد الله لمن تساهل عن إخراج الزكاة:

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها، أو قصر في إخراجها، قال

الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة: 34 ـ 35].

فكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز، يُعذب به صاحبه يوم القيامة، كما دلّ على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله: إمّا إلى الجنة، وإما إلى النار**». ثم ذكر النبي ﷺ صاحب الإبل والبقر والغنم الذي لا يؤدي زكاتها، وأخبر أنه يُعذّب بها يوم القيامة.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّلَ له يوم القيامة شجاعاً، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالُكَ، أنا كنزك**» ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ [آل عمران: 180].

والزكاة تجب في أربعة أصناف:

الخارج من الأرض: كالحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام، والذهب والفضة، وعروض التجارة.

ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود، لا تجب الزكاة فيما دونه.

فنصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ، فيكون مقدار النصاب بصاع النبي ﷺ من التمر والزبيب والحنطة والأرز والشعير ونحوها ثلاثمائة صاع، بصاع النبي ﷺ، وهو أربع حفنات بيدي الرجل المعتدل الخِلقة، إذا كانت يداه مملوءتين.

وأما نصاب السائمة من الإبل والبقر والغنم، ففيه تفصيل مبين في الأحاديث الصحيحة، عن رسول الله ﷺ وفي استطاعة الراغب في معرفته سؤال أهل العلم عن ذلك، ولولا قصد الإيجاز لذكرناه لتمام الفائدة.

الركن الرابع: صوم رمضان، لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: 183]. وفي الصوم يتدرب المسلم على كبح جماح نفسه عن الملذات والشهوات المباحة لمدة من الزمن، وله فوائد صحية علاوة على الفوائد الروحية، وفيه يشعر المسلم بحاجة أخيه المسلم الجائع، والذي قد تمر عليه الأيام دون طعام أو شراب، كما يحصل الآن لبعض إخواننا في كثير من بقاع الأرض.

وشهر رمضان أفضل الشهور، وقد أنزل الله فيه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة: 185]، وفيه ليلة خير من ألف شهر، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [القدر: 1 ـ 3] والصائم يغفر له ما تقدم من ذنبه إذا كان صومه إيماناً واحتساباً، كما صح من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه.

والواجب على الصائم أن يحفظ صيامه باجتناب الغيبة والنميمة والكذب والاستماع إلى الملاهي والحذر من سائر المحرمات، ويسن له الإكثار من قراءة القرآن ومن ذكر الله والصدقة والاجتهاد في العبادة، وخاصة في العشر الأواخر.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-:

إن صيام رمضان أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن

﴿تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: 183 ـ 185].

وقال النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» [متفق عليه]، ولمسلم: «وصوم رمضان وحج البيت». وأجمع المسلمون على فريضة صوم رمضان إجماعاً قطعيًّا معلوماً بالضرورة من دين الإسلام، فمن أنكر وجوبه فقد كفر، فيستتابُ، فإن تاب وأقرّ بوجوبه وإلا قُتل كافراً مرتداً عن الإسلام، لا يُغسل ولا يُكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة، ويدفن لئلا يؤذي الناس برائحته ويتأذى أهله بمشاهدته.

فُرض صيام رمضان في السنة الثانية من الهجرة، فصام رسول الله ﷺ تسع سنين، وكان فرض الصيام على مرحلتين:

المرحلة الأولى: التخييرُ بين الصيام والإطعام مع تفضيل الصيام عليه.

المرحلة الثانية: تعيين الصيام بدون تخيير، فعن سَلَمة بن الأكوع -رضي

الله عنه- قال: لما نزلت ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ [البقرة: 184] كان من أراد أن يُفطر ويفتدي **(يعني فَعَل)** حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها، يعني بها قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ [البقرة: 185]. فأوجب الله الصيام عيناً بدون تخيير. ولا يجب الصوم حتى يثبت دخول الشهر، فلا يصوم قبل دخول الشهر، لقول النبي ﷺ: «**لا يتقدمن أحدكم بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجلٌ كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم**» [رواه البخاري][8].

أما الركن الخامس: فهو حج البيت الحرام، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [آل عمران: 97]، وفرض الحج مرة واحدة في العمر، وكذلك العمرة، ويجبان على المسلم العاقل البالغ الحر المستطيع، ويصحان من الصبي، ولكن لا يسقط عنه بذلك فرضهما إذا بلغ واستطاع، والمرأة التي ليس لديها محرم يرافقها في الحج والعمرة يسقطان عنها، لصحة الأحاديث عن رسول الله ﷺ بالنهي عن سفر المرأة دون محرم، والحج مؤتمر إسلامي يلتقي فيه المسلمون، حيث يأتون إليه من كل فج عميق، ومن سائر أرجاء الدنيا من جنسيات وألوان ولغات، يلبسون لباساً

---

(8) مجالس شهر رمضان 15 ـ 16.

واحداً، يقفون على صعيد واحد، والجميع يؤدون عبادة واحدة، لا فرق بين كبير وصغير، ولا غني وفقير، ولا أسود وأبيض، سواسية كما قال الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: 13].

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعاً: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**».

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- في التحقيق والإيضاح:

إن الله -عز وجل- أوجب على عباده حجّ بيته الحرام، وجعله أحد أركان الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: 97].

وفي الصحيحين، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**».

وروى سعيد في سننه، عن عمر بن الخطاب أنه قال: «**لقد هممت أن**

أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار ينظروا كل من كان له جِدَةٌ[9] ولم يحج، ليضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين»، وروي عن علي أنه قال: «من قدر على الحج فتركه فلا عليه أن يموت يهوديًّا أو نصرانيًّا».

ويجب على من لم يحج وهو يستطيع الحج أن يبادر إليه، لما روي عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «تعجلوا إلى الحج ـ يعني: الفريضة ـ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له» رواه أحمد.

ولأن أداء الحج واجبٌ على الفور في حق من استطاع السبيل إليه، لظاهر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: 97].

وقال النبي ﷺ في خطبته: «أيها الناس، إن الله فرض عليكم الحج فحجوا» أخرجه مسلم.

وقد وردت أحاديث تدل على وجوب العمرة منها: قوله ﷺ: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتَحُجَّ البيت وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وتتم الوضوء، وتصوم رمضان» أخرجه ابن خزيمة، والدارقطني، من حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وقال الدارقطني: هذا إسناد ثابت صحيح.

---

(9) أي: سعة المال.

ومنها: حديث عائشة أنها قالت: يا رسول الله، هل على النساء من جهاد؟ قال: «عليهن جهادٌ لا قتال فيه: الحجُّ والعمرة» أخرجه أحمد، وابن ماجه بإسناد صحيح.

ولا يجب الحج والعمرة في العُمر إلا مرة واحدة، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع».

ويُسن الإكثار من الحج والعمرة تطوعاً، لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة».

قال الشيخ -رحمه الله-: وللإسلام ركائز أخرى، وإن لم تكن في الأركان لكنها تُعين على وجوده حيًّا مُطبقاً في واقع المسلمين، منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد وصف الله ﷻ هذه الأمة بأنها خير أمة أخرجت للناس، لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: 110]، قال بعض السلف: من أراد أن يكون من خير هذه الأمة فليؤد شرطها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجانب آخر مهم في الإسلام يجب أن يهتم به المسلمون، وهو الجهاد في سبيل الله، لما يترتب عليه من عز المسلمين، وإعلاء كلمة الله، وحماية أوطان المسلمين من عدوان الكافرين، ولهذا ثبت في الصحيحين عن ابن عمر -رضي الله عنهم-

قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»، وفي المسند وجامع الترمذي بإسناد صحيح عن معاذ -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» وقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في خطبة خطبها بعدما بايعه المسلمون «لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل». ففي الجهاد إحقاق للحق، وإزهاق للباطل، وإقامة لشرع الله، وحماية للمسلمين وأوطانهم من مكائد أعدائهم[10].

انتهى المقصود بيانه من أركان الإسلام الخمسة.

---

(10) راجع فيما تقدم التحقيق والإيضاح ومحاسن الشريعة في مجموعة فتاوى ومقالات (2) كلاهما لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ~.

الدرس الثالث:

أركان الإيمان

أركان الإيمان، وهي ستة: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

قبل التحدث عن أركان الإيمان نقدم ما يلي:

1 ـ الفرق بين الإسلام والإيمان:

في الإسلام والإيمان يجتمع الدين كله، فإذا ذكرا جميعاً فسر الإسلام بالأمور الظاهرة من الأعمال، وفسر الإيمان بالأمور الباطنة من الاعتقاد، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: 14]، وكما في حديث جبريل -عليه السلام- عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه**

سبيلاً» قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة: قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة: رعاة الشاء، يتطاولون في البنيان» قال: ثم انطلق فلبثت مليًّا ثم قال لي: «يا عمر! أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» [صحيح الإمام مسلم].

وإذا افترقا، فسر أحدهما بما يفسر به الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19]، فجعل الإسلام هو الدين بشرائعه الظاهرة والباطنة، وقد فسر الرسول ﷺ الإيمان لوفد عبد القيس بما فسر به الإسلام في حديث جبريل -عليه السلام-، كما أخبر ابن عباس -رضي الله عنهم- أن النبي ﷺ أمرهم بالإيمان بالله وحده، ثم قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان...» الحديث. وكما في حديث شعب الإيمان وقوله: «أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» مع ما بينهما من أعمال

ظاهرة وباطنة. وينبغي التنبه إلى أن الأعمال الظاهرة لا تسمى إسلاماً إلا بوجود أصل التصديق والإيمان، أما مع عدم وجود أصل الإيمان الذي يصحح به أعماله فيكون منافقاً.

وهما واجبان فلا ينال أحدٌ رضوان الله ـ تعالى ـ ولا ينجو من عقابه إلا بالانقياد الظاهر مع يقين القلب، فلا يصح التفريق بينهما.

ولا يستكمل الإنسان الإيمان والإسلام الواجبين عليه إلا بامتثال الأوامر والابتعاد عن النواهي، كما يلزم من الكمال بلوغ الغاية، لاختلاف الدرجات في زيادة الأعمال من النوافل وزيادة التصديق. والله أعلم.

2 ـ تعريف الإيمان:

ومعنى الإيمان في اللغة: التصديق المستلزم للقبول، والإذعان.

وشرعاً: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: 143]، أي صلاتكم وأنتم متجهون لبيت المقدس قبل أن تؤمروا بالتوجه إلى الكعبة.

وقال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة: فأفضلها قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» [صحيح الإمام مسلم].

وحكى الإمام الشافعي -رحمه الله- إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على ذلك.

3 ـ زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويدل على ذلك أدلة كثيرة منها:

1 ـ قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ﴾ [المدثر: 31].

2 ـ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: 2 ـ 4].

3 ـ ما روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن**

لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

ففي هذا الحديث بيان مراتب تغيير المنكر وكونها من الإيمان، وأن أدنى مرتبة من مراتب التغيير مرتبة تغيير المنكر بالقلب، وهي أضعف الإيمان؛ فما سبقها من المراتب أقوى إيماناً، والله أعلم.

4 ـ وحديث الشعب الذي سبق، ففيه أن الإيمان شعب متعددة ومتفاوتة في الفضل، فمنها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كالشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق. وبحسب أنواع هذه الشعب وكثرة ما يتحلى به المؤمن منها وقوة تمثله بها يكون زيادة إيمانه، وبنقص ذلك يكون نقصه. وهذا وجه الاستشهاد من الحديث.

ـ وإذا ثبت زيادة الإيمان ونقصه فإن أهل الإيمان يتفاضلون، فمنهم كامل الإيمان، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم من هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته (ناقص الإيمان لأجل معصيته).

أما من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان فإنه يعتقد أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الناس متساوون في إيمانهم، فإيمان أفسق الناس كإيمان الصحابة -رضي الله عنهم-، وهذا من أبطل الباطل، لمخالفة الكتاب والسنة والعقل الصحيح. وفيه دليل على بطلان إخراج الأعمال عن

مسمى الإيمان، لأنه يترتب على ذلك هذه اللوازم الباطلة.

وأما الإيمان بالله تعالى فإنه يعني: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق المدبر للكون كله، وأنه هو المستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه باطل، وعبادته باطلة، وأنه سبحانه متصف بصفات الجمال ونعوت الجلال، منزه عن كل عيب ونقص.

4 ـ أثر المعصية على الإيمان:

المعصية: هي خلاف الطاعة، سواء كان تركاً لأمر، أو ارتكاباً لنهي.

والإيمان كما سبق معرفة ذلك؛ بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. فليست شعبه على حد سواء عظماً وقدراً، وعلى هذا تختلف المعصية التي هي الخروج عن الطاعة.

فقد تكون ناقضة للإيمان، كما أخبر الله تعالى عن فرعون بقوله: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النازعات: 21].

وقد تكون فيما دون ذلك، فلا يحصل بها خروج من الإيمان، ولكنها تقدح في ذلك بالنقص والتشويه، فمن أتى الكبائر: كالزنا والسرقة وشرب الخمر ونحو ذلك غير معتقد حلها، ذهب ما في قلبه من الخشية والخشوع والنور، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، فإن أناب إلى الله ـ تعالى ـ وعمل الصالحات ورجع إلى قلبه نوره وخشيته، وإن تمادى في المعاصي زاد الرين

على قلبه إلى أن يختم عليه ـ والعياذ بالله ـ، فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

روى الإمام أحمد -رحمه الله- وغيره عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين، الذي ذكر الله -عز وجل- في القرآن: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾» [المطففين: 14].

5 ـ نواقض الإيمان والإسلام:

يُقصد بنواقض الإيمان ما يذهبه بعد الدخول فيه:

ومنها:

1 ـ إنكار الربوبية أو شيء من خصائصها، أو دعاء شيء منها أو تصديق المدعي، لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: 24].

2 ـ الاستنكاف، والاستكبار عن عبادة الله ـ تعالى ـ قال الله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: 172 ـ 173].

3 ـ الشرك في عبادة الله، بأن يصرف شيئاً من العبادة لغير الله، أو يتخذ وسائط وشفعاء يدعوهم من دون الله، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم. يقول الله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: 18].

ويقول الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: 14].

4 ـ جحد شيء مما أثبته الله ـ تعالى لنفسه ـ، أو أثبته له رسوله ﷺ، وكذلك من يجعل لمخلوق شيئاً من الصفات الخاصة بالله كعلم الغيب، وأيضاً إثبات شيء نفاه الله ـ تعالى ـ عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ.

يقول الله ـ تعالى ـ مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ

أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: 180].

ويقول الله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ [مريم: 65].

5 ـ تكذيب الرسول ﷺ في شيء مما جاء به، يقول تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ [فاطر: 25 ـ 26].

6 ـ اعتقاد عدم كمال هدي الرسول ﷺ، أو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي عليه، أو اعتقاد أن حكم غيره أحسن منه أو أتم أو أشمل لحاجة البشر، أو اعتقاد مساواة حكم غير الله ـ تعالى ـ لحكم الله ورسوله، أو اعتقاد جواز الحكم بغير ما أنزل الله ـ تعالى ـ وإن اعتقد أن حكم الله أفضل، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ [النساء: 60].

ويقول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ [النساء: 65]. ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة: 44].

7 ـ عدم تكفير المشركين، أو الشك في كفرهم، لأن هذا شك فيما جاء به الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم: 9].

8 ـ الاستهزاء بالله تعالى، أو بالقرآن الكريم، أو بالدين، أو بالثواب والعقاب أو نحو ذلك، أو الاستهزاء بالرسول ﷺ أو بأحد من الأنبياء، سواء أكان ذلك مزحاً أو جدًّا، يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ-عز وجل- وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: 65 ـ 66].

9 ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: 51].

10ـ اعتقاد أنه يسع أحد الخروج عن هدي محمد ﷺ ولا يجب عليه اتباعه، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85].

11ـ الإعراض الكلي عن دين الله ـ تعالى ـ أو عما لا يصح الإسلام إلا به، لا يتعلمه ولا يعمل به، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ

رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ [السجدة: 22].

12ـ من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾﴾ [محمد: 9].

13ـ فعل السحر ـ ومنه الصرف والعطف ـ أو الرضى به، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [البقرة: 102].

هذه من أبرز النواقض، وهناك نواقض كثيرة ترجع في جملتها إلى بعض ما ذكر من ذلك: جحود القرآن أو شيء منه، أو الشك في إعجازه، أو امتهان المصحف أو جزء منه، أو تحليل شيء مجمع على تحريمه: كالزنا وشرب الخمر، أو الطعن في الدين أو سبه أو ترك الصلاة. نعوذ بالله من الضلال. والله أعلم.

✲ ✲ ✲

أركان الإيمان وشعبه

أركان الإيمان:

الأركان: جمع ركن، وركن الشيء جانبه الأقوى.

وأركان الإيمان ستة هي:

1 ـ الإيمان بالله تعالى.
2 ـ الإيمان بالملائكة.
3 ـ الإيمان بالكتب.
4 ـ الإيمان بالرسل.
5 ـ الإيمان باليوم الآخر.
6 ـ الإيمان بالقدر خيره وشره.

والدليل على هذا جواب الرسول ﷺ حين سأله جبريل -عليه السلام- عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» [صحيح الإمام مسلم].

شعب الإيمان:

الشعب: جمع شعبة، والشعبة الخصلة والجزء. وشعب الإيمان خصاله المتعددة، وهي كثيرة، فقد جاء في الحديث أنها بضع وسبعون شعبة.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله. وأدناها**

إماطة الأذى عن الطريق» [صحيح الإمام مسلم].

وقد بيّن الرسول ﷺ أن أفضل هذه الخصال التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته، وأدناها إزالة ما يتوقع ضرره بالمسلمين، من إماطة الأذى عن طريقهم، وبين هذين الطرفين أعداد من الشعب: كحب الرسول ﷺ، وحب المرء لأخيه كما يحب لنفسه، والجهاد وغير ذلك كثير، ولم يرد التصريح بخصال الإيمان كلها.. فاجتهد العلماء في عدها، كما فعل البيهقي في الجامع لشعب الإيمان وغيره.

وشعب الإيمان المتعددة بعضها دعائم وأصول، يزول الإيمان بزوالها، مثل إنكار الإيمان باليوم الآخر، قال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ [التغابن: 7].

وبعضها فروع قد لا يزول الإيمان بزوالها، وإن كان يوجب تركها نقصاً في الإيمان أو فسقاً، مثل: عدم إكرام الجار، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»** [رواه البخاري]. وقد يجتمع في الإنسان شعب إيمان، وشعب نفاق، فيستحق بشعب النفاق العذاب ولا يخلد في النار لما في قلبه من الإيمان. والله أعلم.

الإيمان بالله هو: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه باطل، وعبادته باطلة، وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، مُنزّه عن كل نقص وعيب. ويشمل الإيمان بالله تعالى:

1 ـ توحيد الربوبية:

هو إفراد الله -عز وجل- بالخلق والملك والتدبير.

فإفراده بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: 54].

وقال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: 3].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [المؤمنون: 88].

وأما إفراد الله بالتدبير فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ

﴿ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 31].

وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول ﷺ، بل كانوا مقرين به، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: 9].

ولم ينكره أحد معلوم من بني آدم إلا ما كان من فرعون فإنه أنكره مكابرة، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النازعات: 24].

وأنكر توحيد الربوبية على سبيل التشريك المجوس حيث قالوا إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور، وإن جعلوا النور خيراً من الظلمة.

2 ـ توحيد الألوهية:

يقال له توحيد العبادة؛ فباعتبار إضافته إلى الله يسمى توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة، وهو: إفراد الله -عز وجل- بالعبادة. فالمستحق للعبادة هو الله تعالى، وكل معبود سواه فعبادته باطلة. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان: 30].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾ [الإسراء: 22].

وهذا القسم كفر به وجحده عامة الخلق، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: 25].

3ـ توحيد الأسماء والصفات:

هو الإيمان بالله وصفاته كما جاءت في القرآن العظيم، وسنة النبي ﷺ على ما يليق بالله سبحانه؛ وذلك بإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ: من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: 11].

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الطوائف، وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة.

ومما يلحق بالإيمان بالله -عز وجل- **الإيمان بالغيب**.

مفهومه وأثره في عقيدة المسلم:

أولاً: الإيمان بالغيب:

الغيب مصدر يستعمل في كل غائب عن الحاسة، علم أو لم يعلم. والإيمان بالغيب، أي بما لا يقع تحت الحواس، ولا يدرك ببداهة العقول،

إنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والإيمان بالغيب من صفات المؤمن، كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۞ ﴾ [البقرة: 2 ـ 3].

وقيل في معنى إيمانهم رأيان:

(أ) إنهم يؤمنون بما كان غائباً عن الحاسة، مما جاء الخبر به عن الله تعالى وعن رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

(ب) إنهم يؤمنون بالله ـ تعالى ـ حال غيبته عنهم، كما يؤمنون به حال الحضور بخلاف المنافقين. ولا منافاة بين المعنيين، فلابد من الأمرين في المؤمن.

ثانياً: «أثر الإيمان بالغيب في عقيدة المسلم»:

للإيمان بالغيب آثار كبيرةٌ جدًّا تنعكس على سلوك الإنسان، وسيرته في الحياة، فهي دافع قوي لأعمال الخير ومكافحة الشر، منها:

(أ) **الإخلاص في العمل**: فإن المؤمن بالله وثوابه وعقابه سيمتثل أوامر الله، ويحذر من نواهيه رغبة في الثواب، وخوفاً من العقاب في الآخرة، لا طمعاً في الجزاء والشكر الدنيوي من الناس، كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن عباده المطعمين الطعام مع حبهم له بقوله عنهم: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ

حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: 8 ـ 9].

(ب) القوة في الحق: ما وعد به أهل الإيمان يجعل المرء يسير في امتثال أوامر الله تعالى، وبيان الحق والدعوة إليه وبيان الباطل والتحذير منه ومحاربته، وإن عدم المعين فهو قوي بالله تعالى، تهون عليه الحياة الدنيا وعذابها بجانب الحياة الآخرة. وقد أخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم -عليه السلام- قوله لقومه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: 57 ـ 58].

(ج) احتقار المظاهر الدنيوية: وهذا يكون نتيجة عمران القلب بالإيمان بزوال الدنيا وملذاتها، وأن الحياة الآخرة هي حياة البقاء والسعادة، وليس من العقل إيثار الفاني على الباقي، يقول تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت: 64].

وأخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن امرأة فرعون التي استهانت بما هي فيه من متاع الحياة الدنيا، وطلبت النجاة من فرعون وعمله ابتغاء الدار الآخرة لما استنار قلبها بنور الإيمان بالله ـ تعالى ـ والدار الآخرة بقوله: ﴿-عز وجل-وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ

لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: 11].

(د) ذهاب الغل والأحقاد: إن السعي لتحقيق رغبات النفوس بغير طرقها الصحيحة يورث الغل والأحقاد بين الناس، والإيمان بالغيب من وعد الله ـ تعالى ـ ووعيده يجعل المرء محاسباً لنفسه في جميع تصرفاته طمعاً في الثواب وخوفاً من العقاب، والإيمان الصادق بتحقق الثواب يجعل النفس المؤمنة مندفعة إلى الإحسان والإيثار، طمعاً في الثواب الباقي، الأمر الذي تصفو معه النفوس، وتسود المحبة بين الأفراد والجماعات، كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن الذين امتثلوا ذلك بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 9 ـ 10].

تلك بعض آثار الإيمان بالغيب، ولا تتخلف إلا بضعف الإيمان، وإذا تخلفت أصبح المجتمع حيواناً يأكل حيه ميته، ويقهر قويه ضعيفه، فيعم الخوف وينتشر البلاء، وتتخلف الفضيلة وتسود الرذيلة، أعاذنا الله من ذلك.

✲ ✲ ✲

الركن الثاني

الإيمان بالملائكة

تعريفهم:

لغة: الملائكة جمع ملك، بفتح اللام، قيل: إنه مشتق من الألوكة، وهي الرسالة، وقيل: من لاك إذا أرسل، وقيل غير ذلك.

واصطلاحاً: عالم غيبي مخلوقون من نور عابدون لله تعالى.

وليس للملائكة من خصائص الربوبية والألوهية شيء، وقد منحهم الله تعالى الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه. قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: 19 ـ 20] ولقوله عنهم: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبياء: 26 ـ 27].

اعتقاد مشركي العرب فيهم قبل الإسلام:

وقد كان أهل الجاهلية يزعمون أنهم بنات الله ـ تعالى عما يقولون ـ وقد رد الله ـ تعالى ـ عليهم هذا، وبيّن عدم علمهم بذلك بقوله: ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ

ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ [الصافات: 150 ـ 152].

الإيمان بهم:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، ومعنى ذلك التصديق الجازم بأن لله ـ تعالى ـ ملائكة موجدين مخلوقين من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أدلة وجوب الإيمان بهم:

(أ) قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: 285].

(ب) قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: 177].

وأوجب ﷻ الإيمان بهذه الأمور، وكفر من جحدها بقوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: 136].

(ج) قول الرسول ﷺ جواباً لجبريل حينما سأله عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» [صحيح الإمام مسلم].

فجعل ﷺ الإيمان: هو الإيمان بجملة ما ذكر، والإيمان بالملائكة بعض ذلك. فوجودهم ثابت بالدليل القطعي، وإنكارهم كفر بإجماع المسلمين، لأن عدم الإيمان بهم تكذيب لصريح القرآن والسنة.

ما يتضمنه الإيمان بالملائكة من أمور.

الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

1 ـ الإيمان بوجودهم.

2 ـ الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه كجبريل ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

3 ـ الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل، فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها، وله ستمائة جناح قد سد الأفق، وقد يتحول الملك إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل في حديث السؤال عن الإيمان والإسلام السابق.

4 ـ الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها من أمر الله: كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً، فإن الملائكة مجبولون على طاعة الله، ليس لديهم القدرة على العصيان ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم: 6]، فتركهم للمعصية وفعلهم للطاعة جبلة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة، لأنه لا شهوة لهم.

وقد يكون لبعض الملائكة أعمال خاصة مثل: جبريل الأمين على وحي الله ـ تعالى ـ، يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: 193 ـ 194].

ومنهم: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «**بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته. فقال له: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان. للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله! لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان. لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه**» [صحيح الإمام مسلم]. وهذا يعني تصريف المطر من قبل الملائكة على مراد الله تعالى.

ومنهم: المتوكل بالصور، وهو إسرافيل عليه الصلاة والسلام، وهو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى نفختين، نفخة يفزع الناس عند سماعها ثم يصعقون، والنفخة الثانية نفخة البعث، كما قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ

فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: 68].

ومنهم: الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: 11].

ومنهم: خزنة الجنة قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: 73].

ومنهم: خزنة جهنم ـ وهم الزبانية ـ وعددهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك &، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ ﴾ [المدثر: 27 ـ 31]، وقال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف: 77].

ومنهم: الموكلون بحفظ العبد في جميع أحواله، وهم **(المعقبات)** كما قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [الرعد: 11].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾

[الأنعام: 61].

ومنهم: الملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكاً، وأمره بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد. كما ثبت في حديث ابن مسعود في صحيح مسلم.

ومنهم: الموكلون بسؤال الميت إذا وضع في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه. كما ثبت في السنة.

علاقتهم بالبشر:

وكّل الله سبحانه وتعالى الملائكة بأصناف المخلوقات، ومنها الإنسان، فلهم علاقة وثيقة به من حين كونه نطفة، ذكر هذه العلاقة الإمام ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان)، فقال: «فإنهم موكلون بتخليقه ـ أي الإنسان ـ ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه وعمله، وأجله وشقاوته وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب.

وللملائكة علاقة بالمؤمنين، فهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا

والآخرة، وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه، فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله ـ تعالى ـ في منامه، وعند موته، ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته.

في حين أنهم لا يحبون الكفرة الظالمين المجرمين، بل يعادونهم ويحاربونهم، ويزلزلون قلوبهم، وينزلون بهم العذاب بأمر الله، ويلعنونهم، فهم رسل الله في خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر»، وأدلة كل ما ذكر من القرآن والسنة يطول المقام بذكرها وهي معروفة مشتهرة، وقد سبق ذكر بعضها.

ثمرات الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

1 ـ العلم بعظمة الله تعالى وقوة سلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

2 ـ شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

3 ـ محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

* * *

الركن الثالث

الإيمان بالكتب

الكتب: جمع كتاب، بمعنى مكتوب.

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله: رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بكتب الله ـ تعالى ـ ركن من أركان الإيمان.

ومعناه: التصديق الجازم بأن لله ـ تعالى ـ كتباً أنزلها على رسله إلى عباده بالحق المبين، وأنها كلام الله -عز وجل- تكلم بها حقيقة، كما شاء على الوجه الذي أراد.

الأدلة على وجوب الإيمان بالكتب:

(أ) قول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ -عز وجل- وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ [البقرة: 136].

فإن الله ـ تعالى ـ أمر المؤمنين أن يؤمنوا به وبما أنزل عليهم بواسطة

نبيهم محمد ﷺ وهو القرآن الكريم، ويؤمنوا بما أنزل على النبيين من ربهم من غير تفريق بين أحد منهم انقياداً لله ـ تعالى ـ وتصديقاً لخبره.

(ب) قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: 285].

اشتملت الآية الكريمة على بيان صفة إيمان الرسول ﷺ والمؤمنين وبيان ما أمروا به من الإيمان بالله تعالى وبالملائكة وبالكتب وبالرسل من غير تفريق؛ فالكفر بالبعض كفر بهم جميعاً.

(ج) قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: 136].

فأمر الله ﷻ بالإيمان به وبرسوله وبالكتاب المنزل على الرسول ﷺ، وهو القرآن، وبالكتب المنزلة من قبل القرآن. وقرن ﷻ الكفر بالملائكة وبالكتب وبالرسل وباليوم الآخر بالكفر به تعالى.

(د) قول الرسول ﷺ في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان:

«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره

وشره».

فجعل الرسول ﷺ الإيمان بكتب الله تعالى أحد أركان الإيمان.

ما يتضمنه الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

1 ـ الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًّا.

2 ـ الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: 89]، والتوراة التي أنزلت على موسى -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 44]. والإنجيل الذي أنزل على عيسى -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ -عز وجل- فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: 46]. والزبور الذي أوتيه داود عيه السلام، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163]. وصحف إبراهيم وموسى ^، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: 18 ـ 19].

3 ـ العمل بأحكام ما لم ينسخ منها[11] والرضى والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: 48]، أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما أقر به القرآن، ولا يجوز التحاكم إلى أي شيء بأي حال من الأحوال لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: 59].

وقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**» [صحيح مسلم]. وهذا الحديث صريح في بيان أن ما جاء به محمد ﷺ من الدين ناسخ لما سبقه ولهذا جاء مشتملاً على كل ما يلزمهم في الحياة الدنيا إلى قيام الساعة ويأخذ بأيديهم إلى السعادة في الآخرة إن هم

---

(11) قوله: "العمل بأحكام ما لم ينسخ منها" المراد به العمل بأحكام القرآن غير المنسوخة، وأما الكتب السابقة فإنما يعمل منها ما نص عليه القرآن والسنة لصحة ذلك، وأنه من عند الله، ويكون هو تشريع ضمني في الكتاب والسنة، وأما ما بين أيدي أهل الكتاب اليوم فلسنا مخاطبين به ولا مكلفين للبحث فيه، وذلك لاختلاطه بالتحريف، وإنما إذا حدثنا أهل الكتاب بحديث يوافق ما عندنا آمنا به فقط، ونقول: كل من عند ربنا. وما لم نفهمه قلنا: "آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم".

تبعوا تعاليمه وساروا على نهجه، وقد تكفل الله تعالى بحفظه لتقوم الحجة به على الناس قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت: 41 ـ 42].

القرآن الكريم

(أ) **تعريفه**: القرآن في اللغة مصدر كالقراءة، تقول: قرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: 17] أي: قراءته، ثم نقل هذا المصدر، وجعل اسماً للكتاب المنزل على محمد ﷺ، فأصبح علماً عليه دون غيره، وسمي قرآناً لكونه جامعاً لثمرة كتب الله كلها، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: 89].

وفي الاصطلاح: هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على رسوله محمد ﷺ وحياً، المتعبد بتلاوته.

وهذا القرآن هو المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسن، المكتوب في المصاحف، المسموع بالآذان، المنقول إلينا نقلاً متواتراً بلا شبهة.

(ب) القرآن كلام الله تعالى:

القرآن كلام الله تعالى بلفظه ومعناه، منزل غير مخلوق سمعه منه جبريل -عليه السلام-، وبلغه إلى محمد ﷺ، ومحمد ﷺ بلغه لأصحابه، وهو الذي نتلو بألسنتنا، ونكتب في مصاحفنا، ونحفظ في صدورنا، ونسمع بآذاننا، لقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ

كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6].

ولما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهم- أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو»، ولقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم» [حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد].

والإيمان بكل ما ذكرنا عن القرآن الكريم واجب، كما يجب الإيمان بأنه آخر كتاب نزل من عند الله تعالى، جاء مصدقاً ومؤيداً لما جاء في كتب الله تعالى السابقة من الحق، ومبيناً ما أدخل عليها من التحريف، كما وأنه جاء بشريعة عامة صالحة لكل زمان ومكان، ناسخة لما سبقها من الشرائع. واجبة على من بلغته إلى قيام الساعة، لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً سواها بعد نزولها، كما أخبر بذلك.

* * *

الركن الرابع
الإيمان بالرسل

معنى الإيمان بهم هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً، يدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه. وأن جميعهم صادقون كرام بررة هداة مهتدون، وأنهم بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا ولم يغيروا، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٣٥ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾ [النحل: 35 ـ 36].

وأن بعضهم أفضل من بعض، كما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ [البقرة: 253].

وأفضلهم أولو العزم، وهم: **(نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام)**، وأفضل أولي العزم محمد ﷺ.

والإيمان بهم جميعاً واجب، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم وبمن أرسلهم وهو الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ

﴿وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء: 150 ـ 152].

وكما يجب الإيمان بهم على وجه العموم من علمنا منهم ومن لم نعلم، كذلك يجب الإيمان على وجه الخصوص بكل من سمى الله ﷻ منهم مع الاعتقاد بأن لله تعالى رسلاً سواهم، كما قال: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: 78].

وليس من الإيمان بهم رفعهم فوق منزلتهم التي جعلها الله تعالى لهم، فهم عباد من البشر اختارهم الله وأعدهم لحمل رسالته، طبائعهم طبائع البشر، ولا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية، فلا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، قال تعالى آمراً محمداً ﷺ إبلاغ أمته: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110، وفصلت: 6]. وقال: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: 50].

تعريف النبي، والرسول:

تعريف النبي لغة: مشتق من النبأ وهو الخبر.

وسمي النبي نبيًّا لأنه مُخْبِرٌ عن الله، أي مبلّغ عن أمره ووحيه، ومُخَبَّرٌ أي أن الله أخبره. والإرسال في اللغة هو التوجيه.

وعلى هذا فالرسل إنما سموا بذلك لأنهم وجهوا من قبل الله تعالى، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ ﴾ [المؤمنون: 44].

الفرق بين النبي والرسول:

الرسول: رجل أُوحي إليه بشرع جديد، وأرسل إلى قوم مخالفين، ليبلغهم رسالة الله: كأولي العزم.

والنبي: رجل أُوحي إليه ليعمل بشرع من قبله ويحكم به. كالأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ [المائدة: 44].

النبوة منحة إلهية:

النبوة تفضل واختيار من الله تعالى قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: 75]. فليست غاية توصل إليها الطرق فيبلغها البشر بجهدهم، ولا رتبة تنال بالكسب، إنما هي منزلة عالية ورتبة خاصة يختار لها الله تعالى بمحض فضله من يشاء من خلقه، فيُعدّهم ويهيئهم لتحملها، فيحفظهم من تأثير الشياطين، ويصونهم عن الشرك

فضلاً منه ورحمة من غير جهد بذلوه، بل هي منحة إلهية ونعمة ربانية، كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ﴾ [مريم: 58].

وقال لموسى -عليه السلام-: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: 144]. وحكى الله تعالى قول يعقوب لابنه يوسف ^ بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ [يوسف: 6]، ففي الآيات السابقة الدلالة الصريحة على أن النبوة لا تنال بالعظمة، ولا بالعمل، فهي نعمة من الله تعالى ورحمة، يصطفي لها بعض خلقه بعلمه وحكمته، فليست لمن يتحراها ولا لمن يتمناها.

صفات الرسل ومعجزاتهم:

أولاً: صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام: الرسل هم الأسوة الحسنة في صفاتهم وأخلاقهم، والحديث عن صفاتهم طويل جدًّا لكن نذكر منها:

(أ) الصدق:

أخبر الله تبارك وتعالى عن رسله أنهم صادقون بقوله: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ ﴾ [يس: 52].

ولا شك أن الصدق هو لب الرسالة والدعوة، وبه تستقيم الأمور، وتثمر

الأعمال، والكذب منقصة يتنزه عنها صفوة الخلق.

(ب) الصبر:

إن دعوة الناس إلى طاعة الله وتحذيرهم من مخالفة أمره عمل صعب ومسلك شاق، لا يطيقه كل أحد، لكن رسل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وهم صفوة الخلق قد لاقوا في سبيل دعوتهم صنوف المشاق وأنواع الأذى، فلم يثن ذلك عزائمهم، ولم يوقف إقدامهم. وقد قص الله ﷻ علينا أخبار بعض أنبيائه، وما لاقوه من الأذى في سبيل دعوتهم، وما كان منهم من الصبر والتحمل في سبيل ظهور الحق وإعلاء كلمة الله تعالى، وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالصبر أسوة بأولي العزم من الرسل فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: 35].

ثانياً: معجزات الرسل "&":

تعرف معجزات الرسل بأنها:

كل خارق للعادة يظهره الله تعالى على أيدي أنبيائه ورسله على وجه يعجز البشر عن الإتيان بمثله. وقد جرى على أيدي أنبياء الله ورسله ما تقوم به الحجة، ويلزم العقول بالخضوع والتصديق بما جاء به الرسل، سواء بطلب أقوامهم أو بدون ذلك، وتسمى في القرآن آيات.

الإيمان بمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً:

يتضمن الإيمان به ﷺ ما يلي:

(أ) عموم بعثته ﷺ إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158]، وقال ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود**» [صحيح الإمام مسلم].

وقد أكمل الله تعالى لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، على يد المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ، فهو رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

فيلزمهم جميعاً الإيمان برسالته ﷺ، ومن لم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى: كغيره من الكافرين، قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَـٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: 3]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران: 85].

(ب) أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: 40].

✵ ✵ ✵

الركن الخامس

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر: هو الركن الخامس من أركان الإيمان.

والمراد به الاعتقاد الجازم صدق كل ما أخبر به الله -عز وجل- في كتابه العزيز أو أخبر به رسول الله ﷺ ما يكون بعد الموت، ويشمل ذلك: فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما بعد ذلك من البعث والحشر وتطاير الصحف والحساب، والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما فيهما.

الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

(أ) قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: 62].

(ب) قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ِ -عز وجل- ٱلرِّقَا وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا

عَـٰهَدُواْۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: 177].

(ج) قول الله تعالى عن البعث: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: 16].

(د) قول الرسول ﷺ جواباً لجبريل -عليه السلام- حين سأله عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» [صحيح مسلم].

عذاب القبر ونعيمه:

تواترت الأخبار عن الرسول ﷺ في ثبوت سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه، فالإيمان بذلك واجب. ونعيم القبر وعذابه يحصل لمن استحق النعيم أو العذاب، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رماداً أو غرق في البحر أو غير ذلك. والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا منها:

(أ) قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: 27]. فقد دلت الآية على السؤال في القبر.

(ب) وقال ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 46]. فدلت الآية على ثبوت

عذاب القبر.

(ج) روى البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهم- قال: مر النبي ﷺ على قبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير**»، ثم قال: «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحدٍ منها على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**» [صحيح الإمام البخاري].

القيامة وعلاماتها:

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [الأنعام: 59].

وعلم الساعة من مفاتيح الغيب التي استأثر الله بها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: 34].

وقد دل على وقوعها أدلة كثيرة جدًّا منها:

(أ) قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ -عز وجل- لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩ ﴾ [غافر: 59].

(ب) قول الرسول ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ويقرن أصبعيه السبابة والوسطى.

البعث:

البعث هو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس حفاة عراة غرلاً. قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء: 104].

والبعث حق ثابت، دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

فمن الكتاب قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: 15 ـ 16].

ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ: **«ثم ينزل الله من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقل»**. وقد أجمع المسلمون على ثبوته.

الحشر:

وبعد قيام الناس من قبورهم يساق الخلق إلى أرض المحشر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤﴾ [ق: 44]،وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾ [الكهف: 47]. وقال ﷺ: **«يحشر الناس يوم القيام حفاة عراة غرلاً»** [صحيح مسلم].

الحساب:

المراد بهذا أن الله ﷻ يظهر الإنسان على أعماله في الحياة الدنيا ويقرره بذلك. كما يقتص لبعض الخلق من بعض، ويقضي بينهم، وذلك على الله

يسير.

والأدلة على هذا في القرآن والسنة كثيرة جدًّا مثل: قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ ﴾ [الأعراف: 6]. وقوله: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ [الكهف: 48].

والله ﷻ هو الذي يتولى حساب الخلق بنفسه؛ لما روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» [صحيح الإمام البخاري].

الحوض:

الحوض: مورد عظيم ترده أمة محمد ﷺ يوم القيامة إلا من خالف هديه وبدل بعده. جاء في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال وهو بين ظهراني أصحابه: «إني على الحوض أنتظر من يرد عليَّ منكم، فوالله لَيُقْتَطَعَنَّ دوني رجال، فلأقولن: أي ربي، مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، مازالوا يرجعون على أعقابهم» [صحيح البخاري]. في هذا الحديث إثبات الحوض، وأن الابتداع ومخالفة الأوامر موانع من وروده.

وقد تواترت الأحاديث في خبر الحوض.

عن عبد الملك بن عمير قال: سمعت جندباً -رضي الله عنه- يقول:سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض» [صحيح البخاري].

الميزان:

الميزان: الآلة التي تعرف بها مقادير الأشياء.

والمراد بالميزان هنا: ميزان حقيقي له كفتان حسيتان، يوضع لوزن أعمال العباد يوم القيامة. وفيه إظهار العدل الرباني، فلا تظلم نفس شيئاً، فيحضر تبارك وتعالى أعمال الإنسان وإن كان مثقال حبة من خردل، لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها. وقد تكون موازين الأعمال متعددة، وقد يكون الميزان واحداً، والله قادر على كل شيء. والأدلة على ثبوت الميزان ووزن الأعمال منها:

(أ) قول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: 47].

(ب) قال ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» [صحيح البخاري].

وفي الأدلة السابقة ما يدل على إثبات الموازين، وإثبات وزن الأعمال،

وترتب الفلاح على ثقلها، والخسارة على خفتها.

الصراط:

الصراط: هو الطريق.

والمراد هنا: الجسر المنصوب على ظهر جهنم طريقاً إلى الجنة. والمرور على الصراط عام للمؤمنين، ومن ادعى الإيمان (**كالمنافقين**)، ولا يمكن الوصول إلى الجنة إلا بعد تجاوزه.

وقد دل عليه الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢ ﴾ [مريم: 71 ـ 72].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- في ـ حديث طويل ـ أن النبي ﷺ قال: «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها**» [صحيح الإمام مسلم].

الشفاعة:

الشفع: ضم الشيء إلى مثله.

والشفاعة لغة: الوسيلة والطلب.

والمراد بها: التوسط للغير بجلب منفعة ودفع مضرة.

وأكثر ما يستعمل هذا المعنى في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. والشفاعة يوم القيامة عند الله ﷻ لا بد فيها من شرطين.

الشرط الأول:

إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: 255].

رضا الله عن المشفوع له، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: 28].

أنواع الشفاعة:

الشفاعة نوعان:

الأولى ـ خاصة بالنبي ﷺ.

الثانية ـ عامة له ولغيره.

فالأولى ـ منها:

(أ) الشفاعة العظمى، وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ، وهي المقام المحمود الذي وعده الله -عز وجل- بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء: 79]، وذلك حين يشتد على الناس الموقف، ويلتمسون الشفاعة في أن يفصل بينهم فيأتون آدم، ثم إبراهيم، ثم موسى،

ثم عيسى ابن مريم & وكلهم يقول: نفسي نفسي. إلى أن ينتهوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها**» [انظر صحيح البخاري].

(ب) الشفاعة في دخول أهل الجنة، ودليلها عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً**» [صحيح الإمام مسلم].

(ج) شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب. عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب.. فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار، يغلي منه دماغه**» ولا تنفعه الشفاعة في الخروج من النار، لكونه مات غير موحد بخلاف أهل التوحيد. والله أعلم.

الثانية ـ الشفاعة العامة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، ومنها:

(د) الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين ممن أدخلوا النار، فيخرجون منها. كما جاء ذلك صريحاً في الأحاديث الكثيرة، التي بلغت حد التواتر، وهي عامة وتتكرر من الرسول ﷺ مرات، ويشفع أيضاً الملائكة والنبيون والمؤمنون.

وهذه الشفاعة أنكرها المعتزلة والخوارج، بناء على مذهبهم الباطل: أن

فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة.

(هـ) الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة فوق ما تقتضيه أحوالهم.

(و) الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ومن أدلة هذا النوع قول الرسول ﷺ لعكاشة بن محصن لما طلب منه أن يدعو الله أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب: «**اللَّهُمَّ اجعله منهم**».

الجنة والنار:

الجنة: هي الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار: هي الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن، لقوله تعالى في الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: 133]، وفي النار: ﴿ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [آل عمران: 131]. والإعداد: التهيئة، ولقوله ﷺ حين صلى صلاة الكسوف: «**إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أرَ كاليوم منظراً قط أفظع**» [متفق عليه].

والجنة والنار لا تفنيان، لقوله تعالى: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ ﴾ [البينة: 8].

✲ ✲ ✲

الركن السادس

الإيمان بالقدر

تعريفه:

القَدَر: تقدير الله تعالى للكائنات حسب ما سبق به علمه، واقتضت حكمته.

والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، كما في جواب الرسول ﷺ حين سأله جبريل -عليه السلام- عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

والمراد بالإيمان بالقدر: التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: 22 ـ 23].

وفي قول الله تعالى دلالة على أن جميع ما يجري في الآفاق وفي الأنفس من خير أو شر فهو مقدر من الله تعالى، ومكتوب قبل خلق الخليقة، فما فات من المحبوب لا يوجب الحزن، وما حصل منه لا يوجب الفرح.

عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو كان لك جبل أحد أو مثل جبل أحد ذهباً أنفقته في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار» [مسند الإمام أحمد].

وكل ما قدر الله تعالى فهو لحكمة يعلمها، ولا يخلق الله تعالى شرًّا محضاً لا يترتب عليه مصلحة، فالشر ليس إليه من حيث هو شر، وإنما هو داخل في عموم خلقه كل شيء، وهو بالنسبة لله عدل وحكمة ورحمة، ولا يدخل في شيء من صفاته ولا أفعاله، فله الكمال المطلق، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ [النساء: 79]،أي أن ما يصيب الإنسان من الخير والإنعام فهو من الله تعالى، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، والله تعالى خالق العباد، ولا يجري في ملكه إلا ما يريد، ولا يرضى لعباده الكفر. وقد وهبهم القدرة والاختيار، فأفعالهم واقعة بقدرتهم وإرادتهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

مراتب الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر على أربع مراتب هي:

المرتبة الأولى: العلم:

الإيمان بعلم الله، فهو سبحانه عالم بكل شيء، وهو بكل شيء محيط، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فيعلم جميع خلقه قبل خلقهم، ويعلم ما تكون عليه أحوالهم كلها: سرها وعلانيتها. والأدلة على هذا كثيرة منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: 12].

(ب) قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ [الأنعام: 59].

(ج) وعن ابن عباس -رضي الله عنهم- قال: سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم» [صحيح الإمام مسلم].

ودلالة الأدلة السابقة على علم الله وإحاطته بكل شيء شاهداً وغائباً ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون واضحة جلية.

المرتبة الثانية: الكتابة:

الإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير خلقه في اللوح المحفوظ، ولم يفرط في ذلك من شيء، وعلى هذا الأدلة كثيرة، منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج: 70].

(ب) وعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله ـ تبارك وتعالى ـ القلم، ثم قال له اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: فكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة» [مسند الإمام أحمد].

والأدلة السابقة مصرحة بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ كتب كل شيء قبل الخلق، ولم يفرط في الكتاب من شيء، وذلك سهل يسير على من لا تخفى عليه خافية.

المرتبة الثالثة: المشيئة:

مرتبة الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن ولابد، وما لم يشأ لم يكن، والأدلة على المشيئة الشاملة كثيرة جدًّا منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: 29].

(ب) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: 82].

(ج) قول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» [صحيح الإمام البخاري].

ودلالة هذه الأدلة على عموم مشيئة الله تعالى ظاهرة؛ فكل ما يحصل في هذا الكون فهو مراد له سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية، فهو الخالق وحده المالك المدبر، فلا يجري في ملكه إلا ما يريد لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، أما ما لم يرده سبحانه فلا يكون، لعدم المشيئة لا لعدم القدرة؛ لأن الله تبارك وتعالى لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر: 44].

المرتبة الرابعة: الخلق:

الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومما يدل على هذا ما يلي:

(أ) قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: 62].

(ب) قول الرسول ﷺ: «إن الله خالق كل صانع وصنعته».

وفي الآيات السابقة والحديث النص الجلي على أن الله تبارك وتعالى هو الذي قدّر كل شيء وخلقه، وهو الذي أحاط الأشياء بعنايته ورعايته، وقد قدر الكائنات، وأوجدها لا على مثال سابق، ووهب بعض خلقه القدرة والفعل، والله سبحانه هو الخالق للفاعل وفعله، وهو الخلاق العليم.

❃ ❃ ❃

أثر الإيمان في حياة الفرد والجماعة

الإيمان بجميع أركانه وحدة متكاملة مرتبط بعضها ببعض لا يغني بعضها عن الآخر، وآثار الإيمان بكل ركن منها آثار لباقيها، فهي على التحقيق غير منفصلة عن بعضها، وكذلك تأثيرها على الفرد والجماعة، ولكون الفرد هو اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع جاءت الرسالات منصبة على الأفراد، لأن صلاحهم صلاح المجتمع، ومن الآثار ما يلي:

(أ) أن الإيمان بالله هو حياة القلوب الباعث لها على القوة التي ترقى بها في مدارج الكمال، وهو الحافز للنفوس على التحلي بخصال الخير والتنزه عن الرذائل وسفاسف الأمور، كما قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ [الأنعام: 122].

(ب) أن الإيمان مصدر للراحة والطمأنينة للأفراد؛ لأنه يساير الفطرة ويوافق طبيعتها، وهو مصدر الهناء والسعادة للمجتمع؛ لأنه يقوي روابطه، ويوثق صلاته، ويزكي عواطفه، ويسمو بها نحو الفضيلة. إنها نعمة الرضا في كل حال، حال السعة والضيق، والعسر واليسر والفرح والحزن إيماناً بقضاء الله وحكمته، كما قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: 216].

وروى الإمام مسلم عن صهيب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن: إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له**» [صحيح الإمام مسلم]. فالمؤمن المستشعر لهذا يكون هادئ القلب مرتاح البدن والنفس، تملأ حياته السعادة، ويعلوه الرضا، والسكينة، مطمئن إلى رحمة الله وعدله، لأنه ملاذه وملتجأه وقرة عينه وبرد يقينه.

(ج) طهر النفوس وصفاؤها، أي أن الإيمان يطهر النفوس من الأوهام والخرافات، فتصفو لما فطرت عليه، وتسمو ويعلو شأنها بما تكون عليه من الكرامة، فكل خضوع فيها واستكانة تتحدد تجاه خالقها وصاحب الفضل عليها وعلى الخلق كلهم، المتكفل بمصالحهم، فمتى استشعرت النفوس وحدتها في الخلقة، وكفالتها في الرزق ذهبت عنها قيود الوهم، والخوف والرجاء من الخلق، سواءً من كبراء البشر أو مما يخترعه الخيال، مما يظن في الظواهر الكونية من الكواكب والأشجار والأحجار ونحوها أو من القبور وأصحابها، فتتعلق بالحق وتعرض عن سواه، فيتحد الناس في التعلق والهدف، فتزول عنهم بواعث التنافس والخلاف.

(د) إظهار العزة والمنعة، إن من يؤمن بأن الدنيا مزرعة الآخرة كما

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [البقرة: 110]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: 7 ـ 8]. ويؤمن بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، ينتزع من قلبه أي باعث على الخوف، وأي مظهر من مظاهره، فلا يرضى لنفسه الذلة والهوان، ولا يصبر على الهزيمة والعدوان.

ومن هنا يظهر لنا بوضوح كيف تحققت تلك الإنجازات العظيمة على يد الرسول ﷺ وعلى يد أصحابه. إن قوى الأرض كلها لا تقف أمام من خالطت بشاشة الإيمان قلبه وراقب الله في عمله، وكانت الدار الآخرة مطلبه، كما ندرك كيف كان الأنبياء & وهم أفراد يقفون أمام أقوامهم متحدين وغير مبالين بكثرة أولئك وقوتهم، وفي مواقف الخليل وهود ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ما يجلي ذلك بوضوح، ويبرز قوة الإيمان الحقيقية.

(هـ) التحلي بمكارم الأخلاق، فإيمان المرء بحياة بعد هذه الحياة يحصل بها الجزاء على الأعمال مما يشعر بأن لحياته غاية وهدفاً سامياً، الأمر الذي يدفعه إلى الأعمال الحسنة من فعل الخيرات، والتحلي بالفضائل والابتعاد عن الشرور، والتخلي عن الرذائل، وهذا من شأنه أن يوجد الفرد الفاضل والمجتمع الكريم والدولة الناهضة.

(و) الجد والاجتهاد في العمل، إن من يؤمن بقضاء الله وقدره، ويعلم

ارتباط الأسباب بمسبباتها، ويعرف قيمة العمل ومنزلته وفضله، يدرك أن من توفيق الله للإنسان هدايته للأخذ بالأسباب الموصلة إلى المطلوب، ولا يجد القنوط واليأس طريقاً إلى نفسه نتيجة ما فاته من أمر، كما لا يدب الغرور والفخر إلى نفسه إذا نال شيئاً من حطام الدنيا، إيماناً بقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: 22 ـ 23].

الدرس الرابع:

أقسام التوحيد

بيان أقسام التوحيد، وهي ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية: فهو الإيمان بأن الله سبحانه الخالق لكل شيء، والمتصرف في كل شيء، لا شريك له في ذلك.

وأما توحيد الألوهية: فهو الإيمان بأن الله سبحانه هو المعبود بحق لا شريك له في ذلك، وهو معنى لا إلَٰه إلا الله، فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله، فجميع العبادات من صلاة وصوم وغير ذلك يجب إخلاصها لله وحده، ولا يجوز صرف شيء منها لغيره.

وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم، أو الأحاديث الصحيحة من أسماء الله وصفاته، وإثباتها لله وحده على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل؛ عملاً بقول الله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4]، وقوله -عز وجل-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [الشورى: 11]، وقد

جعلها بعض أهل العلم نوعين، وأدخل توحيد الأسماء والصفات في توحيد الربوبية، ولا مشاحة في ذلك، لأن المقصود واضح في كلا القسمين.

قوله: أقسام التوحيد:

التوحيد موضوع عظيم، هو أساس الملة، وأساس جميع ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم.

ولا ريب أن هذا المقام جدير بالعناية، وإنما ضل من ضل وهلك من هلك بسبب إعراضه عن هذا الأصل، وجهله به، وعمله بخلافه، وكان المشركون قد جهلوا هذا الأمر من توحيد العبادة، الذي هو الأساس الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وخلق من أجله الثقلان "الجن"، و"الإنس"، وظنوا أن ما هم عليه من الشرك دين صالح وقربة، يتقربون بها إلى الله، مع أنه أعظم الجرائم وأكبر الذنوب، وظنوا بجهلهم وإعراضهم وتقليدهم لآبائهم، ومن قبلهم من الضالين: أنه دين وقربة وحق، وأنكروا على الرسل، وقاتلوهم على هذا الأساس الباطل كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٠ ﴾ [الأعراف: 30].

وأول من وقع في هذا البلاء واعتقد هذا الشرك قوم نوح عليه الصلاة والسلام، فإنهم أول الأمم الواقعة في الشرك، وقلدهم من بعدهم، وكان سبب

ذلك: الغلو في الصالحين، وأنهم غلوا في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان هؤلاء رجالاً صالحين فيهم، فماتوا في زمن متقارب، فأسفوا عليهم أسفاً عظيماً، وحزنوا عليهم حزناً شديداً، فزين لهم الشيطان الغلو فيهم، وتصويرهم ونصب صورهم في مجالسهم، وقال: لعلكم بهذا تسيرون على طريقتهم. وفي ذلك هلاكهم وهلاك من بعدهم، فلما طال عليهم الأمر عبدوهم. وقال جماعة من السلف: (فلما هلك أولئك، وجاء من بعدهم عبدت هذه الأصنام، وأنزل الله جل وعلا فيهم قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ [نوح: 23 ـ 25]. فالغلو في الصالحين من البشر وفي الملائكة والأنبياء والجن والأصنام هو أصل هذا البلاء، والله بيّن على أيدي الرسل أن الواجب عبادته وحده سبحانه، وأنه الإله الحق، وأنه لا يجوز اتخاذ الوسائط بينه وبين عباده، بل يجب أن يعبد وحده مباشرة من دون واسطة، وأرسل الرسل، وأنزل الكتاب بذلك، وخلق الثقلين لذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: 56]،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [البقرة: 21].

وهذا المقام أعني ـ مقام التوحيد ـ دائماً وأبداً يحتاج إلى مزيد العناية

بتوجيه الناس إلى دين الله وتوحيده وإخلاص العبادة له؛ لأن الشرك هو أعظم الذنوب، وقد وقع فيه أكثر الناس قديماً وحديثاً، فالواجب بيانه للناس والتحذير منه في كل وقت، وذلك بالدعوة إلى توحيد الله سبحانه، والنهي عن الشرك، وبيان أنواعه للناس حتى يحذروه، وقد قام خاتم الأنبياء محمد ﷺ بذلك أكمل قيام في مكة والمدينة.

فالواجب على أهل العلم أن يقدموه على غيره ـ أعني التوحيد وحده، وأن تكون عنايتهم به أكثر من كل نوع من أنواع العلم لأنه الأساس، فإذا فسد هذا الأساس وضرب بالشرك بطل غيره من الأعمال، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ ﴾ [الأنعام: 88].

تعريف التوحيد: هو إفراد الله سبحانه بالربوبية والإلهية والأسماء والصفات، واعتقاد أنه واحدٌ في ذاته وصفاته، وواحدٌ في مُلكِهِ وأفعاله، فهو سُبحانه واحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته، فلا نظير له ولا شبيه، ولا مثيل. قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى: 11].

وهو سبحانه واحد في ملكه، وأفعاله، أي لا شريك له في خَلْقِهِ وتَدبيره. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران: 26].

وواحدٌ في ألوهيته، واستحقاق عبادته، فلا معبود بحق سواه، ولا

يستحق أن يُعبَد غيره. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الزمر: 11].

فضل التوحيد:

لتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فضلٌ عظيم، فقد جعله الله سفينة النجاة لعباده في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فمن كان من أهل التوحيد وعاش حياته لا يُشرك بالله شيئاً، أسبغ الله عليه الأمن والطمأنينة والهداية والحياة الطيبة، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: 82].

والمراد بالظلم في الآية، الشرك أي من لم يخالط إيمانه بالشرك بالله كان له الأمن والاهتداء.

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ [النحل: 97].

وأما في الآخرة: فإنه من مات على التوحيد ولقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ونجاه الله من النار، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إن الله

حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله. يبتغي بذلك وجه الله»[12].

قوله "وأقسام التوحيد ثلاثة" بالاستقراء والنظر والتأمل في الآيات والأحاديث، وما كان عليه أهل الشرك، اتضح أنها ثلاثة أقسام، اثنان أقرَّ بهما المشركون، والثالث جحده المشركون، وقام النزاع بينهم وبين الرسل في ذلك، والقتال والولاء والبراء والعداوة والبغضاء. ومن تأمل القرآن الكريم والسيرة النبوية وأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأحوال الأمم عرف ذلك، وقد زاد بعضهم قسماً رابعاً سماه "توحيد المتابعة" يعني وجوب اتباع الرسول ﷺ والتمسك بالشريعة، فليس هناك متبع آخر غير الرسول ﷺ، فهو الإمام الأعظم وهو المتبع، فلا يجوز الخروج عن شريعته، فهي شريعة واحدة، إمامها واحد، وهو نبينا عليه الصلاة والسلام، فليس لأحد الخروج عن شريعته، بل يجب على جميع الثقلين الجن والإنس أن يخضعوا لشريعته، وأن يسيروا على منهاجه في التوحيد، وفي جميع الأوامر والنواهي، وهذا القسم الرابع معلوم، وهو داخل في قسم توحيد العبادة، لأن الرب سبحانه أمر عباده باتباع الكتاب والسنة، وهذا توحيد المتابعة، وقد أجمع العلماء على وجوب اتباع الرسول ﷺ والسير على منهاجه، وأنه لا يسع أحد الخروج عن شريعته.

(12) متفق عليه، أخرجه البخاري (202/6) مسلم كتاب الإيمان (61/1) برقم 54 من حديث عتبان بن مالك. وراجع "ما لابد من معرفته عن الإسلام" (40).

ثم ذكر الشيخ، الأقسام الثلاثة، فقال: وهي:

1 ـ توحيد الربوبية.

2 ـ توحيد الألوهية.

3 ـ توحيد الأسماء والصفات... الخ.

قال: أما توحيد الربوبية، فهو الإيمان بأن الله سبحانه الخالق لكل شيء، والمتصرف في كل شيء... الخ.

الأول: توحيد الربوبية:

هو إفراد الله تعالى بأفعاله، مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر وإنبات النبات، فيعتقد المسلم الموحد بأن الله ـ سُبحانه ـ هو الخَالِق الرازق، النافع الضار، المُحيي المُميت، مَالِكُ المُلك كله، بيده مقاليد السماوات والأرض.

وهذا النوع من التوحيد يُقِرّ به المشركون أنفسهم، كما حكى الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: 31].

النوع الثاني: توحيد الألوهية:

قوله: و"أما توحيد الألوهية فهو الإيمان بأن الله سبحانه هو المعبود... إلخ". وهو إفراد الله وحده بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب وهي مما شرعه الله ورسوله، ويكون بالاعتقاد بأن الله وحده هو المُستحق للعبادة والطاعة، وأنه لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، ولا يصرف لأحد شيء من أنواع العبادات مثل:

الصلاة، فلا يجوز أن نصلي إلا لله، والدعاء، فلا يجوز أن ندعو إلا الله.

والذبح: فلا يجوز أن نذبح إلا لله، والنذر، فلا يجوز أن ننذر إلا لله.

والاستعانة: فلا تجوز الاستعانة إلا بالله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والاستغاثة: فلا تجوز الاستغاثة إلا بالله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وتوحيد الله بهذا المعنى يوجب على الإنسان:

أن لا يَعبُدَ إلا الله، ولا يخشى إلا الله، ولا يخضع إلا لله، ولا يلجأ إلا إلى الله، ولا يستعين إلا بالله، ولا يتَّكِلَ إلا على الله، ولا يحكُمَ أو يَحْتَكِمَ إلا إلى شرع الله، وأن لا يُحِلَّ إلا ما أحل الله، وأن لا يُحَرِمَ إلا ما حرم الله.

فقد ثبت أن عدي بن حاتم ـ وكان قد تنصر في الجاهلية ـ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة: 31].

فقال: يا رسول الله: إنهم لم يعبدوهم. فقال ﷺ: «بلى إنهم حَرَّمُوا عليهم الحلالَ، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم».

التوحيد الذي جاءت به الرُّسُل:

وتوحيد الألوهية هو التوحيد الذي جاءت به الرسل ودعت الناس إليه. وهو الذي جحده الكفار وكانت الخصومة فيه بين الرُّسل وأممهم من لدن نوح -عليه السلام- إلى نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ [الأنبياء: 25]. وقال تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: 36].

أي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه، فمن عبد الله وحده وترك عبادة غيره فقد اتبع الصراط المستقيم. واستمسك بالعروة الوثقى.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ [البقرة: 256].

وقال الله: ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ ﴾ [النحل: 51].

ولقد كان مشركو العرب يقرون بأن الله خالقُ كل شيء، ويعتقدون أن

آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تُحيي ولا تُميتُ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف: 9].

ومع ذلك كانوا مشركين، لأنهم كانوا يعبدون مع الله آلهة يظنون أنها تُقربهم إلى الله زُلفى، فلم ينفعهم توحيد الربوبية لما جحدوا توحيد الألوهية ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: 106].

وذلك أنهم لم يفردوه سبحانه بالعبادة والاستعانة، بل أشركوا معه آلهتهم في العبادة، وقالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: 3]. ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: 18].

فمن أقر بتوحيد الربوبية، وأنكر توحيد الألوهية. وعبد مع الله غيره فهو مُشرك وليس بمسلم.

مَن هو الله؟

إنما الله إله واحد:

إن الله تعالى إله واحد ليس له شريك ولا مثيل ولا شبيه في ذاته أو صفاته أو أفعاله، خلافاً لمن اعتقد أن لله زوجة أو ولداً ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

وخلافاً لمن زعم أن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً،

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ ﴾ [المائدة: 73]، ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾ [البقرة: 163].

وخلافاً لمن اعتقد أن هناك آلهة غير الله تعالى تتصرف في هذا الوجود ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ ﴾ [الأنبياء: 22].

توحيد الأسماء والصفات:

وهو النوع الثالث، والذي أشار إليه الشيخ بقوله: "وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم..." الخ.

ويدخل في ذلك إثبات جميع ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء الحُسنى، وما دلت عليه من الصفات من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل.

فنعتقد بأن لله أسماءً وصفات تدل على كماله وعظمته، لا يُشبهه أحد فيها.

وقد وردت هذه الأسماء والصفات في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة. فيجب الإيمان بها على الحقيقة. قال تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [الشورى].

أمثلة على الأسماء والصفات:

(أ) الأسماء: مثل: الرحمن، الرحيم، القاهر، القادر، السميع، البصير، القُدوس.

(ب) الصفات: مثل: العُلُوِّ، والسَّمْعِ، والبَصَرِ، والقُدْرَةِ، والوَجْهِ، واليَدِ والنزول.

وبعد بيان أنواع التوحيد نبين المقصود بالرسل والحكمة من إرسالهم:

الرُّسل:

وهم الذين بعثهم الله إلى الناس لتبليغ شرعه، ودعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة غيره. وأولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ.

الحكمة من إرسال الرُّسل:

أرسلهم الله ـ تعالى ـ حُجَّة على العِباد،ليُبَلِّغُوا الناس الدِّينَ، ويُبشروا المُطيعَ بالجنة، والثَّواب العظيم، ويُنذروا العاصي بالنَّار والعذاب الشديد.

قال الله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء: 165].

قال الشيخ: وأقسام الشرك ثلاثة: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

فالشرك الأكبر: يوجب حبوط العمل والخلود في النار لمن مات عليه،

كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ ﴾ [الأنعام: 88]، وقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ ﴾ [التوبة: 17]، وأن من مات عليه فلن يغفر له، والجنة عليه حرام، كما قال الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: 48]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾ [المائدة: 72].

ومن أنواعه: دعاء الأموات، والأصنام، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، والذبح لهم، ونحو ذلك.

أما الشرك الأصغر: فهو ما ثبت بالنصوص من الكتاب أو السنة تسميته شركاً، ولكنه ليس من جنس الشرك الأكبر؛ كالرياء في بعض الأعمال، والحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشاء فلان، ونحو ذلك؛ لقول النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسئل عنه، فقال: «**الرياء**» رواه الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي، عن محمود بن لبيد الأنصاري -رضي الله عنه- بإسناد جيد، ورواه الطبراني بأسانيد جيدة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج، عن النبي ﷺ.

وقوله ﷺ: «**من حلف بشيء دون الله فقد أشرك**» رواه الإمام أحمد

بإسناد صحيح، عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ورواه أبو داود، والترمذي بإسناد صحيح، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهم-، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»، وقوله ﷺ: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**» أخرجه أبو داود بإسناد صحيح، عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-.

وهذا النوع لا يوجب الردة، ولا يوجب الخلود في النار، ولكنه ينافي كمال التوحيد الواجب.

أما النوع الثالث: وهو الشرك الخفي، فدليله قول النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه**» رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-.

ويجوز أن يقسم الشرك إلى نوعين فقط:

أكبر وأصغر، أما الشرك الخفي فإنه يعمهما.

فيقع في الأكبر، كشرك المنافقين؛ لأنهم يخفون عقائدهم الباطلة، ويتظاهرون بالإسلام رياءً، وخوفاً على أنفسهم.

ويكون في الشرك الأصغر، كالرياء، كما في حديث محمود بن لبيد

الأنصاري المتقدم، وحديث أبي سعيد المذكور. والله ولي التوفيق. انتهى.

الشرك وأنواعه:

بيّن الشيخ أنواع الشرك الثلاثة وفصلها، ثم قال: ويجوز أن يقسم الشرك بالله تعالى إلى نوعين:

1 ـ أكبر.

2 ـ وأصغر.

أما الشرك الخفي فإنه يعمهما... إلخ.

الأول: الشرك الأكبر: وهو عبادة غير الله تعالى معه واتخاذ شريك لله فيما هو من خصائصه ﷻ، كإشراك غيره معه في العبادة والطاعة والخضوع والاستعاذة والحب والخشية والدعاء.

فالذي يُشرك مع الله شيئاً، أي شيء سواء كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً، يدين له بالولاء والطاعة، ويدعوه كما يدعو الله، ويُحبه كما يُحب الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخشاه كما يخشى الله، ويخضع له كما يخضع لله، ويحتكم إليه من دون الله، من فعل ذلك فقد أشرك مع الله غيره، هذا هو الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: 36].

وهو أقبح أنواع الشرك وأشدها نُكراً، وأعظم الذنوب عند الله -عز

وجل-، لا يقبل الله من صاحبه أي عمل مهما كان صالحاً، ولا يغفر له هذا الذنب إذا لقيه وهو مشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48]. وهذا النوع من الشرك من مات وهو عليه، فهو من أهل النار، كما قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**» [رواه البخاري، ومسلم عن ابن مسعود].

وفي حديث: «**من لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار**» [أخرجه مسلم عن جابر]. فالإنسان المسلم لا يعبد إلا الله -عز وجل-، ولا يدعو إلا الله، ولا يخضع إلا لله تعالى، قال -عز وجل-: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 162 ـ 163].

النوع الثاني: الشرك الأصغر، وهو أنواع:

1 ـ اليسير من (الرياء)، كأن يقصد بصلاته وصيامه وصدقته غير وجه الله، فيخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً. فقد ورد أنه ﷺ قال: «**أخْوَفُ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغر**»، فسئل عنه فقال: «**الرياء**» [رواه أحمد عن شداد بن أوس]. فكل عبادة أو عمل صالح يقصد به الإنسان إعجاب الناس ورضاهم فهو من الرياء المنهي عنه. وفي حديث شداد بن أوس مرفوعاً: «**من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد**

أشرك».

2 ـ ومن الشرك الأصغر الحلف بغير الله: كأن يحلف بالنبي ﷺ والكعبة أو الآباء، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت».

3 ـ قول الرجل: ما شاء الله وشئت. وهذا من الله ومنك ـ وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت ـ وأنا أتوكل على الله وعليك،ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حالة قائله ومقصده.

حماية عقيدة التوحيد:

كان رسول الله ﷺ حريصاً كل الحرص على أن تبقى عقيدة التوحيد نقية خالصة في قلوب المسلمين، لا يتسرب إليها شك أو شرك. وأن تظل قلوبهم معلقة بالله وحده، فلا تتجه إلا إليه، ولا تستغيث إلا به، ولا تتوكل إلا عليه. فكان ﷺ كُلما رأى أمراً من الأمور يُضْعِفُ صِلَة المسلمين بربهم واعتمادهم عليه وحده، ويزعزع عقيدة التوحيد من قلوبهم، أسرع إلى تنبيه المسلمين إليه بتحذيرهم منه وبيان خطره على إيمانهم. فمن ذلك:

1 ـ السحر:

وهو عزائم ورُقًى وعُقدٌ تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وهو شيء يعتمد على التستر والخفاء، ويستخدمه السَّحَرَةُ

في إيقاع الأضرار بالناس، وقد حذر منه الإسلام، ونهى عنه الرسول ﷺ، فقال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المُحصنات الغافلات» [متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه-].

وعقوبة الساحر في الإسلام أن يُضرب عُنقه بالسيف، فقد قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربه بالسيف». والذي ينخدع بأعمال السحرة ويأتيهم يلتمس عندهم شفاءً لمريضه أو قضاءً لمصلحته أو غير ذلك وصدقهم فيما يزعمونه من ادعاء علم الغيب، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

دليل ذلك:

قول الرسول ﷺ: «ليس منا من تطير أو تُطُيِّرَ له أو تَكَهّن أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له» [ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد، وعزاه للبزار بإسناد جيد].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» رواه أبو داود وخرجه أهل السنن الأربع.

2 ـ الرقى:

وهي التي تُسمى العزائم، وهي أقوال وتراتيل يقرؤها الرَّاقي. وقد نهى الإسلام عمَّا يكون منها شركاً: كدُعاء غير الله، والاستغاثة والاستعاذة به. وذلك كالرُّقى بأسماء الملائكة والشياطين والجن وغير ذلك مما حرمه الله.

أما إذا كانت الرُّقية بالقُرآن الكريم أو بأسماء الله وصفاته، أو دُعائه واللجوء إليه وحده، فذلك جائز لأنه خالٍ من الشرك.

فعن عوف بن مالك قال: كُنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله،كيف تَرى في ذلك. فقال: **«اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك»** [أخرجه مسلم وأبو داود].

رقية رسول الله ﷺ:

وقد كان رسول الله ﷺ يرقي. ومن رُقاهُ المأثورة: **«اللّٰهُمَّ رب النَّاس أذهب البأس، واشْفِ أنْتَ الشَّافي لا شِفَاءَ إلاَّ شِفَاؤكَ. شِفاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً»** [أخرجه مسلم].

3 ـ التمائم:

التمائم جمع تميمة، وهي شيء يُعلق بأعناق الصبيان من خرزات وغيرها، يزعمون أنها تحفظهم من الشر والحسد.

وقد نهى الإسلام عن ذلك، لأنه لا يدفع الشر والحسد إلا الله. وقد قال رسول الله ﷺ: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق وَدَعةً فلا أوْدعَ الله له» [أحمد: 4، 154، 156].

ولا يجوز تعليق التمائم لا من القرآن ولا من غيره على القول الراجح، لعموم النهي وسدًّا للذريعة، وحتى لا يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

وبه قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما من التابعين، وهو اختيار سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-.

أما ما كان بغير ذلك فقد نهوا عنه واعتبروه شركاً، وعلى ذلك جاء الحديث: «من عَلَّقَ تميمة فَقد أشْرَكَ».

4 ـ التولة:

شيءٌ تصنعه المرأة تتحبب به إلى زوجها، وقد نهى الإسلام عن ذلك أيضاً، لأن فيه طلباً لدفع المضار أو جلب المنافع عن غير طريق الله.

ولذلك ورد الحديث: «إن الرّقى والتمائم والتولة شرك» [رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس].

من تعلق شيئاً وكل إليه:

ومن اعتقد أن شيئاً من ذلك المنهي عنه له تأثير خاص في شفاء المريض أو قضاء الحاجة أو دفع البلاء أو رد الضائع أو ما شابه ذلك، تخلى الله عنه، وتركه إلى ما اعتقد، فقد قال رسول الله ﷺ: «من تَعَلَّقَ شيئاً وُكلَ إليه» [أخرجه الترمذي والإمام أحمد].

أي من اتجه إلى غير الله وتعلق قلبه به ونسى ربه، وكله الله له. أما من تعلق قلبه بالله، وفوّض أمره إليه، وتوكّل عليه، كفاه الله كل سُوءٍ، وسهّل له كل صعبٍ، ونجّاه من كل فتنة.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: 3].

الغلو في تعظيم الأشخاص:

نهى الإسلام عن مجاوزة الحد في تعظيم الأشخاص ومدحهم. وعلم المسلمين أن الإنسان مهما كانت منزلته فليس إلا عبداً لله.

قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: 93].

وقد نهى الإسلام عن ذلك ليبقى التوحيد نقيًّا خالصاً، وليكون العمل خالصاً لله وحده ولا يُقصدُ به إلا وجهه. والمغالاة في تعظيم الأشخاص تجر إلى الشرك بالله.

وقد غالى النصارى في شخص عيسى -عليه السلام- حتى جعلوه إلهاً

مرة وابن إله مرة أخرى، وجُزء إله مرة ثالثة، وذلك هو عين الكفر.

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: 72]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: 73].

وقد كان ذلك منهم انحرافاً عن سواء السبيل بسبب الغلو في عيسى -عليه السلام-. وقد حكى القرآن عنهم ذلك مُبيناً لهم طريق الحق، فقال: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [النساء: 171].

وحتى لا يقع المسلمون فيما وقع فيه غيرهم، حذَّرهم النبي ﷺ من المغالاة في شخصه، فقال -عليه السلام-: **«لا تُطروني كما أَطْرتِ النصارى ابن مَريم. إنما أنا عبدٌ. فقولوا: عبدُ الله ورسوله»** [رواه البخاري في كتاب الأنبياء].

الغلو في الصالحين أصل عبادة الأصنام:

وقد كان الغلو في تقديس الصالحين ورفعهم فوق منزلتهم أصل الشرك وأساس عبادة الأصنام، وانحراف الناس عن طريق التوحيد الخالص. فقد رُويَ أن الأصنام التي كانت تُعبد من دون الله كانت أسماء لرجال صالحين، وكان لهم أتباع يعظمُونهم. فلما ماتوا قالوا: ننصب لهم تماثيل نضعها في

مجالسهم حتى نظل نذكرهم. فلما انقرض الجيل الذي صنعها وطال الزمان، وجاءت أجيال أخرى لا تعرف حقيقتهم. سَوّل لهم الشيطان أن آباءهم وأجدادهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم[13].

(13) انظر كتاب "ما لابد من معرفته عن الإسلام".

الدرس الخامس:

الإحسان

قال -رحمه الله-: "ركن الإحسان: وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

اعلم ـ رحمك الله ـ بأن على الإنسان أن يعلم بأن الله ﷻ مطلع على جميع الخلائق، يعلم أحوالهم، ويشاهد أعمالهم، فلا يفوته، شيء ولا يعزب عن علمه منها مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: 61] ومفاد هذا بجانب ما يقرره من شمول علم الله وكماله واطلاعه ومراقبته وعظم قدرته ورعايته وهيمنته ـ هو تعليم عباده بأن يستشعروا دوماً بأن الله مطلع على حركاتهم وسكناتهم وعلى أقوالهم وأفعالهم وما يختلج في صدورهم ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: 13]. ويتأكد ذلك عندما يشرع المسلم في عبادة من العبادات بحيث يقوم فيها بين يدي الله مقام من استشعر أن الله سبحانه يراه، وكأنه

هو يرى الله تعالى، وهذا هو أرفع مراتب الدين التي بينها الرسول ﷺ لأمته، عندما بيّن الإسلام والإيمان والإحسان بقوله: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

تعريف الإحسان:

الإحسان لغة: ضد الإساءة، ورجل محسن ومِحسَان. الأخيرة عن سيبويه.

والمحَاسِنُ في الأعمال: ضد المساوئ. وحسنتُ الشيء تحسينا: زينتهُ، والإحسان: الإتقان في العمل والإخلاص وصدق المراقبة.

الإحسان اصطلاحاً: يختلف معنى الإحسان اصطلاحاً باختلاف السياق الذي يردُ فيه، فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به الإشارة إلى المراقبة وحُسن الطاعة.

قال المناوي: الإحسان إسلامٌ ظاهرٌ، يُقيمهُ إيمانٌ باطنٌ، يُكملُهُ إحسانٌ شُهودي [التوقيف على مهمات التعاريف (41)].

فالإحسان المراد به: المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب الله أحسن عمله، وهو خلق جامع لجميع أبواب الخير، وفيه لب الإيمان وروحه.

حقيقة الإحسان:

فسر النبي ﷺ الإحسان حين سأله جبريل صلوات الله وسلامه عليه، فقال: «هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». أراد أنه من

راقب الله أحسن عمله، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل: 90]. ولذلك عظَّمَ الله ثواب أهل الإحسان، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: 195]، وقال -عز وجل-: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن: 60] أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحسنَ إليه في الآخرة.

وقال: الإحسان من أفضل منازل العُبودية، لأنه لُبُّ الإيمان وروحه وكماله. وجميع المنازل منطوية فيه [لسان العرب لابن منظور **(13/115 ـ 117)**، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي **(2/465 ـ 446)**].

فالإحسان على هذا الأساس: كمال الحضور مع الله تعالى، والمراقبة الجامعة لخشيته والإخلاص له، بأن يحسن الإنسان قصده، فيجعله خالصاً متجرداً لله.

درجات الإحسان:

يأتي الإحسان على درجات متعددة، وأعلاه: ما كان في جانب الله تعالى، كما فسره النبي بهذا الحديث، ودونه التقرب إلى الله تعالى بالنوافل.

وتأتي بعد ذلك مراتب أخرى للإحسان سواء في القصد والنية أو في الفعل.

وقوله ﷺ في تفسير الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه...**» إلخ. يشير إلى

أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة، وهو استحضار قُربه، وأنه بين يديه، كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف، والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن تخشى الله كأنك تراه، ويوجب أيضاً النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها.

ولهذا قال ابن عمر: كنا في الطواف نتخايل الله -عز وجل- بين أعيننا.
خرّجه
أبو نعيم وغيره [أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء 1/309].

وقوله ﷺ: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» هذا فيه توجيه للعبد: أنه إذا قام بعبادة الله فعليه بمراقبة الله تعالى في العبادة، واستحضار قُربه منه، حتى كأنه يراه، فإن شق عليه ذلك استعان على ذلك بإيمانه بأن الله يراه، ويطلع عل سره وعلانيته، وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره، فإذا تحقق هذا المقام سهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني، وهو دوام التَّحديق بالبصيرة، إلى قرب الله من عبده ومعيته، حتى كأنه يراه.

واعلم أن للإحسان مقامين:

أحدهما: مقام الإخلاص، وهو: أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه، وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله، وعمل عليه، فهو مخلص لله تعالى، لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من

الالتفات إلى غير الله، وإرادته بالعمل.

والثاني: مقام المشاهد، وهو: أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وهو أن يتنوّر بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان. وهذا هو حقيقة مقام الإحسان، المشار إليه في حديث جبريل -عليه السلام- [جامع العلوم 1: 75 ـ 76 بتصرف].

الدرس السادس:

شروط الصلاة

شروط الصلاة، وهي تسعة:

الإسلام، والعقل، والتمييز، ورفع الحدث، وإزالة النجاسة، وستر العورة، ودخول الوقت، واستقبال القبلة، والنية.

الشروط: جمع شرط، والشرط لغة العلامة.

وفي **الاصطلاح**: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود، أي إذا عدمت الطهارة عدمت الصلاة، ولا يلزم من وجود الطهارة وجود الصلاة، والمراد بشروط الصلاة أي شروط صحتها.

شروط الصلاة تسعة:

الشرط الأول: الإسلام، وضده الكفر، والكافر عمله مردود، ولو عَمِلَ أي عمل. والدليل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة: 17]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: 23]. ولا تقبل الصلاة إلا من مسلم، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

﴿مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: 85].

الثاني: العقلُ وضده الجنون، مرفوع عنه القلم حتى يُفيق، والدليل الحديث: **«رفِعَ القلم عن ثلاثة: النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ»** [رواه أحمد في مسنده، وأبو داود والنسائي وابن ماجه].

الثالث: التمييز، وضده الصغر: وحده سبع سنين، ثم يؤمر بالصلاة، لقوله ﷺ: **«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»** [رواه الحاكم والإمام أحمد وأبو داود]، وفي لفظ: **«مروا أولادكم»**.

الشرط الرابع: رفع الحدث، أي الطهارة، وهو قسمان: حدث أكبر: كالجنابة والحيض، ويرفع هذا الحدث بالغسل. وحدث أصغر ويرفع بالوضوء، لقوله ﷺ: **«لا يقبل الله صلاة بغير طهور»** [رواه مسلم وغيره]. ولقوله ﷺ: **«لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ»** [متفق عليه].

الشرط الخامس: إزالة النجاسة من ثلاثة: من البدن، والثوب، والبقعة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾ [المدثر: 4].

ولقوله ﷺ: **«تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه»**.

الشرط السادس: سترُ العورة بما لا يصف البشرة، لقوله ﷺ: **«لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار»** [رواه أبو داود].

وأجمع أهل العلم على فساد صلاة من صلى عُرياناً وهو يقدر. وحدُّ عورة الرجل من السرة إلى الركبة. والأمة كذلك، والحرة كلها عورة إلا وجهها ما لم يكن هناك أجنبي، فإن كانت عند أجانب وجب تغطية وجهها قطعاً. ومما يدل على ستر العورة حديث سلمة بن الأكوع «**وازرره ولو بشوكة**» أي الثوب، لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف: 31] أي عند الصلاة.

الشرط السابع: دخول الوقت، والدليل من السنة حديث جبريل -عليه السلام-: أنه أمَّ النبي ﷺ في أول الوقت، وفي آخره، فقال: «**يا محمد: الصلاة بين هذين الوقتين**». وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾ [النساء: 103]. أي مفروضاً في الأوقات. ودليل الأوقات قوله تعالى:

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ ﴾ [الإسراء: 78].

الشرط الثامن: استقبال القبلة. والدليل قوله تعالى: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة: 144].

الشرط التاسع: النية، ومحلها القلب، والتلفظ بها بدعة. والدليل الحديث: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**».

الدرس السابع:

أركان الصلاة

أركان الصلاة، وهي أربعة عشر:

القيام مع القدرة، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والاعتدال بعد الركوع، والسجود على الأعضاء السبعة، والرفع منه، والجلسة بين السجدتين، والطمأنينة في جميع الأفعال، والترتيب بين الأركان، والتشهد الأخير، والجلوس له، والصلاة على النبي ﷺ، والتسليمتان.

الركن الأول: القيام منتصباً مع القدرة في الفرض. والدليل قوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: 238].

ولقوله ﷺ: «صلّ قائماً..» [أخرجه البخاري].

الركن الثاني: تكبيرة الإحرام، وهي قوله «الله أكبر» لا يُجْزئه غيرها. والدليل الحديث: «تَحريمُها التَّكبيرُ، وتحليلها التسليم»، وحديث المسيء صلاته «إذا قمت إلى الصلاة فكبر».

الركن الثالث: قراءة الفاتحة، وقراءتها ركن في كل ركعة، كما في

الحديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

الركن الرابع: الركوع.

الركن الخامس: الاعتدال منه.

الركن السادس: السجود على الأعضاء السبعة.

الركن السابع: والاعتدال منه.

الركن الثامن: الجلسة بين السجدتين. والدليل على هذه الأركان قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴾ [الحج: 77]. والحديث عنه ﷺ: «أمرت أن أسجُدَ على سبعة أعظُم» [رواه البخاري ومسلم].

الركن التاسع: الطمأنينة في جميع الأفعال.

الركن العاشر: الترتيب بين الأركان. والدليل على جميع الأركان حديث المسيء: عن أبي هريرة قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ دخل رجل فصلى [فقام] فسلم على النبي ﷺ فقال: «ارجع فصل فإنك لم تُصل» فعلها ثلاثاً، ثم قال: والذي بعثك بالحق نبيًّا لا أحسن غير هذا فعلمني، فقال له النبي ﷺ: «إذا قُمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

الركن الحادي عشر: التشهد الأخير، وهو ركن مفروض، كما في الحديث عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: كُنا نقول قبل أن يُفرض علينا التشهد: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل وميكائيل. وقال النبي ﷺ: «**لا تقولوا: السلام على الله من عباده، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات**» وذكر الحديث وسيأتي لفظ التشهد في الدرس التالي.

الركن الثاني عشر: الجلوس له لقوله ﷺ: «**إذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات**» [متفق عليه].

الركن الثالث عشر: الصلاة على النبي ﷺ لقوله ﷺ: «**إذا صلى أحدكم**» وفيه «**ثم يصلي على النبي ﷺ**» وفي رواية: «**ليصل على النبي ﷺ ثم يدعو**» [رواه أحمد وأبو داود].

الركن الرابع عشر: التسليمتان لقوله ﷺ: «**وتحليلها التسليم**».

الدرس الثامن:

واجبات الصلاة

واجبات الصلاة هي ثمانية:

جميعُ التكبيرات غير تكبيرة الإحرام، وقول: «سَمِعَ الله لمن حَمِدَهُ» للإمام والمنفرد، وقولُ: «ربنا ولك الحمدُ» للكلِّ، وقول: «سبحان ربي العظيم» في الركوع، وقول: «سبحان ربي الأعلى» في السجود، وقول: «رب اغفر لي» بين السجدتين، والتشهد الأول والجلوس له.

الواجب الأول: جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام، لقول ابن مسعود: «رأيت النبي ﷺ يكبر في كل رفع وخفض، وقيام وقعود»، [رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه]. ولقوله ﷺ: «إذا كبر الإمام فكبروا» والأمر للوجوب.

الثاني: قول: «سبحان ربي العظيم» في الركوع، لحديث حذيفة في وصف صلاة الرسول ﷺ فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» وفي سجوده «سبحان ربي الأعلى».

الثالث: قوله: «سمع الله لمن حمده» للإمام والمنفرد، لقول أبي هريرة في صفة صلاته ﷺ أنه كان يقول: «سمع الله لمن حمده» حين يرفع صلبه من

الركعة. متفق عليه.

الرابع: قوله: «ربنا ولك الحمد» للكل، الإمام والمأموم والمنفرد، لقول أبي هريرة في الحديث السابق، ثم يقول: وهو قائم «ربنا ولك الحمد».

الخامس: قول: «سبحان ربي الأعلى» في السجود لحديث حذيفة المتقدم.

السادس: قول: «رب اغفر لي» بين السجدتين ـ كما في حديث حذيفة أنه ﷺ كان يقول بين السجدتين «رب اغفر لي» [رواه النسائي وابن ماجه][14].

السابع والثامن: التشهد الأول والجلوس له: لحديث: كان ﷺ يقرأ في كل ركعتين التحية، وفي حديث آخر: «إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا التحيات» [أخرجه أحمد والنسائي].

والأركان ما سقط منها سهواً أو عمداً بطلت الصلاة بتركه، والواجبات ما سقط منها عمداً بطلت الصلاة بتركه، وسهواً جبره السجود للسهو[15].

(14) راجع شروط الصلاة وأركانها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. والعدة – شرح العمدة 13ـ 71 منار السبيل (70: 87).

(15) شروط الصلاة للإمام محمد بن عبد الوهاب.

الدرس التاسع:

بيان التشهد (التحيات)

بيان التشهد، وهو أن يقول: (التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

ثم يصلي على النبي ﷺ ويبارك عليه، فيقول: (اللّٰهُمَّ صلّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

ثم يستعيذ بالله في التشهد الأخير من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، ثم يتَخيَّر من الدعاء ما شاء، ولا سيما المأثور من ذلك، ومنه: (اللّٰهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللّٰهُمَّ إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم).

أما في التشهد الأول فيقوم بعد الشهادتين إلى الثالثة في الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وإن صلى على النبي ﷺ فهو أفضل؛ لعموم الأحاديث في

ذلك، ثم يقوم إلى الثالثة.

قوله: «بيان التشهد...» الخ.

اختار الشيخ التشهد الذي رواه ابن مسعود -رضي الله عنه-، وقد تقدم الإشارة إليه في أركان الصلاة، قال ابن مسعود: «**علمني رسول الله ﷺ التشهد، كفي بين كفيه، كما يعلمني السورة من القرآن**» [أخرجه أحمد (**1: 114**) والبخاري (**4: 176**)، ومسلم (**2: 14**) وغيرهم].

وهناك صيغ أخرى فأيها اختار المصلي أجزأته، وإن تشهد بهذا تارة وبهذا تارة فهو حسن. والله أعلم.

وحديث ابن مسعود: أصح ما ورد في التشهد.

وعن أبي مسعود البدري -رضي الله عنه- قال: قال بشير بن سعد: يا رسول الله، أمرنا الله أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ فسكت، ثم قال: قولوا: «**اللَّهُمَّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. والسلام كما علمتم**» [رواه مسلم، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث كعب بن عجرة]، وفيه: قولوا: «**اللَّهُمَّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد..**» وذكر الحديث(16). وعن

---

(16) البخاري (3: 15)، ومسلم (2: 16).

أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»، متفق عليه.

والحديث دليل على مشروعية الاستعاذة مما ذكر في هذا الموضع، وذلك بعد الصلاة على النبي ﷺ.

وعن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قُلْ: اللّٰهُمَّ إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» متفق عليه.

الحديث دليل على مشروعة الدعاء في الصلاة على الإطلاق، ومن مواضعه بعد التشهد والصلاة على النبي ﷺ والاستعاذة من الأربع، وإن دعا بغير ذلك مما ورد فحسن، لقوله في حديث ابن مسعود: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو».

وفيه دليل على جواز الدعاء في الصلاة بما ورد وبما لم يرد إذا لم يكن فيه مما هو ممنوع شرعاً. وفي لفظ: «ثم ليتخير من المسألة ما شاء».

ومن ذلك ما أخرجه مسلم وأبو عوانة من الدعاء وهو: «اللّٰهُمَّ اغفر لي

ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

وهذا: ما لم يشق على المأموم.

ويجوز الدعاء لشخص معين، لفعله ﷺ في دعائه للمستضعفين بمكة.

ومعنى «التحيات» جميع التعظيمات لله مُلكاً واستحقاقاً، مثل الانحناء والركوع والسجود والبقاء والدوام، وجميعُ ما يعظم به رب العالمين، فهو لله، فمن صرف منه شيئاً لغير الله فهو مشرك كافرٌ. و«الصلوات» معناها جميع الدعوات، وقيل: الصلوات الخمس. و«الطيبات لله» الأعمال الصالحة، فهو سبحانه يُحيّا ولا يسلم عليه، لأن السلام دعاء، والله طيب ولا يقبلُ من الأقوال والأعمال إلا طيبها. «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» تدعو للنبي ﷺ بالسلامة والرحمة والبركة، والذي يُدعى له ما يُدعى مع الله. و«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» تُسلم على نفسك وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض. و«السلام» دعاء و«الصالحون» يُدعى لهم ولا يُدْعَونَ مع الله. «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، تشهد شهادة اليقين أن لا يُعْبَدَ في الأرض ولا في السماء بحق إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله بأنه عبدٌ لا يُعبدُ، ورسولٌ لا يُكذَّبُ، بل يُطاعُ وَيُتبع، شَرَّفه الله بالعبودية. والدليل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:

[1]. «اللَّهُمَّ صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد» الصلاةُ من الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، كما حكى البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال: صلاة الله: ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، وقيلَ: الرحمة. والصواب الأول، ومن الملائكة: الاستغفار، ومن الآدميين الدعاء. وبارك وما بعدها سنن أقوال.

والمراد بآل محمد: آل البيت من بني هاشم وبني عبد المطلب، وأزواجه من آل بيته عليه الصلاة والسلام ممن لا تحل لهم الزكاة.

وآل إبراهيم ذريته من المؤمنين.

ويجوز أن يصلي على النبي ﷺ مما ورد، وتجوز الصلاة على غير النبي ﷺ منفرداً إذا لم يكثر، لما ثبت أنه ﷺ قال: «اللَّهُمَّ صلّ على آل أبي أوفى» وما لم تتخذ شعاراً لبعض الناس أو يخص بها بعض الصحابة دون بعضهم.

الدرس العاشر:

سنن الصلاة

سنن الصلاة ومنها:

1 ـ الاستفتاح.

2 ـ جعل كف اليد اليمنى على اليسرى فوق الصدر حين القيام، قبل الركوع وبعده.

3 ـ رفع اليدين مضمومتي الأصابع ممدودة حذو المنكبين أو الأذنين عند التكبير الأول، وعند الركوع، والرفع منه، وعند القيام من التشهد الأول إلى الثالثة.

4 ـ ما زاد عن واحدة في تسبيح الركوع والسجود.

5 ـ ما زاد على قول: (**ربنا ولك الحمد**) بعد القيام من الركوع، وما زاد عن واحدة في الدعاء بالمغفرة بين السجدتين.

6 ـ جعل الرأس حيال الظهر في الركوع.

7 ـ مجافاة العضدين عن الجنبين، والبطن عن الفخذين، والفخذين عن الساقين في السجود.

8 ـ رفع الذراعين عن الأرض حين السجود.

9 ـ جلوس المصلي على رجله اليسرى مفروشة، ونصب اليمنى في التشهد الأول وبين السجدتين.

10ـ التورك في التشهد الأخير في الرباعية والثلاثية، وهو: الجلوس على مقعدته، وجعل رجله اليسرى تحت اليمنى ونصب اليمنى.

11ـ الإشارة بالسبابة في التشهد الأول والثاني من حين يجلس إلى نهاية التشهد وتحريكها عند الدعاء.

12ـ الصلاة والتبريك على محمد، وآل محمد، وعلى إبراهيم، وآل إبراهيم في التشهد الأول.

13ـ الدعاء في التشهد الأخير.

14ـ الجهر بالقراءة في صلاة الفجر، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، والاستسقاء، وفي الركعتين الأولين من صلاة المغرب والعشاء.

15ـ الإسرار بالقراءة في الظهر، والعصر، وفي الثالثة من المغرب، والأخيرتين من العشاء.

16ـ قراءة ما زاد عن الفاتحة من القرآن مع مراعاة بقية ما ورد في السنن في الصلاة سوى ما ذكرنا، ومن ذلك:

ما زاد على قول المصلي: ربنا ولك الحمد، بعد الرفع من الركوع في حق الإمام والمأموم والمنفرد، فإنه سنة، ومن ذلك أيضاً وضع اليدين على الركبتين مفرجتي الأصابع حين الركوع.

قوله: «سنن الصلاة...» الخ.

اعلم أن سنن الصلاة نوعان:

النوع الأول: سنن الأقوال.

النوع الثاني: سنن الأفعال.

وقد ذكرها المؤلف في المتن، وهذه السنن لا يلزم المصلي أن يأتي بها ولكن إن فعلها أو بعضاً منها فله أجر، ومن تركها أو ترك شيئاً منها فلا حرج عليه مثل سائر السنن. ولكن ينبغي من المسلم أن يأتي بها، وليتذكر قول المصطفى ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».

قوله: «دعاء الاستفتاح».

ودعاء الاستفتاح: سمي بذلك لأنه تستفتح به الصلاة.

ومن أدعية الاستفتاح: «سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك».

ومعنى سبحانك اللّٰهُمَّ: أي أنزهك التنزيه اللائق بجلالك يا الله.

وقوله: «**وبحمدك**» قيل معناه: أجمع لك بين التسبيح والحمد.

وتبارك اسمك: أي البركة تنال بذكرك.

وتعالى جدك: أي جلت عظمتك.

ولا إلٰه غيرك: أي لا معبود في الأرض ولا في السماء بحق سواك.

ويجوز الاستفتاح بكل صيغة وردت عن النبي ﷺ. ويستحب أن يستفتح المسلم تارة بهذا وتارة بهذا، ليحصل له العمل بالسنة.

ومن الأدعية الثابتة:

«**اللّٰهُمَّ باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللّٰهُمَّ نقني من خطاياي كما يُنقَى الثوب الأبيض من الدنس، اللّٰهُمَّ اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد**» [رواه البخاري ومسلم].

وقوله: «جعل كف اليد اليمنى...» الخ.

كما في حديث وائل بن حجر، ثم وضع اليمنى على اليسرى [أخرجه أحمد ومسلم]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنا معشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا، وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة**» [رواه أبو داود بسند حسن من حديث طاوس مرسلاً]، وعن علي بسند فيه

مقال: إن من السنة في الصلاة وضع الأكف على الأكف تحت السرة [رواه أحمد، وورد غير ذلك، والأمر فيه سعة، والمختار الأول، والله أعلم].

وقوله: «رفع اليدين مضمومتي الأصابع...» إلخ، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يرفعهما ممدودة الأصابع [رواه أبو داود].

ولحديث أبي حميد (كان يرفع يديه يحاذي بهما منكبيه) [رواه أبو داود]، وعن مالك بن الحويرث: (كان يرفع يديه حتى يحاذي بهما فروع أذنيه) [متفق عليه]، ورفعهما: إشارة إلى كشف الحجاب بينه وبين ربه، كما أن السبابة إشارة إلى الوحدانية.

ولحديث علي -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه، ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته وأراد أن يركع، ويصنعه إذا رفع رأسه من الركوع، ولا يرفع يديه في شيء من صلاته وهو قاعد، وإذا قام من السجدتين رفع يديه كذلك وكبر. رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه. ومعنى السجدتين أي الركعتين.

وقوله: «ما زاد عن واحدة...» الخ.

لحديث حذيفة -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع: «سبحان ربي العظيم» ويقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى» [رواه أبو داود]. فالواجب مرة واحدة، وأدنى الكمال ثلاث مرات، وأعلى الكمال

عشر.

وقوله: «ما زاد عن واحدة في الدعاء..».

لأن الواجب مرة واحدة، لما روى حذيفة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: «رب اغفر لي» [رواه النسائي وابن ماجه].

وقوله: «جعل الرأس حيال الظهر» الخ.

لما في حديث عائشة -رضي الله عنها-: «وكان ـ أي النبي ﷺ ـ إذا ركع لم يُشخص رأسه ولم يُصوِّبه، ولكن بين ذلك» [أخرجه مسلم].

وقوله: «مجافاة العضدين، ورفع الذراعين..» الخ.

لما ورد في صفة صلاة النبي ﷺ أنه كان لا يفترش ذراعيه، رواه البخاري وأبو داود.

وكان يرفعهما على الأرض، ويباعدهما عن جنبيه، حتى يبدو بياض إبطيه من ورائه [رواه البخاري ومسلم].

قوله: «جلوس المصلي على رجله اليسرى..».

لأن النبي ﷺ علم المسيء صلاته، فقال له: «فإذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن، وافترش فخذك اليسرى، ثم تشهد» [رواه أبو داود والبيهقي بسند جيد].

ولما روت عائشة -رضي الله عنها- أنه ﷺ كان يفرش رجله اليسرى،

وينصب اليمنى. [رواه مسلم].

وقوله: «التورك في التشهد الأخير..».

لما روى أبو حميد الساعدي -رضي الله عنه- قال: (وإذا جلس في الركعة الأخيرة قدَّم رجله اليسرى، ونصب الأخرى، وقعد على مقعدته) [أخرجه البخاري 828/2]. وفي حديث رفاعة بن رافع عند أبي داود برقم (860) «فإذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن، وافترش فخذك اليسرى، ثم تشهد».

وقوله: «في الصلاة والتبريك..».

فيسن للمصلي أن يصلي على النبي ﷺ كما في التشهد الأخير، لما ورد أنه كان ﷺ يصلي على نفسه في التشهد الأول وغيره. كما رواه أبو عوانة في صحيحه والنسائي.

وقوله: «الدعاء في التشهد الأخير..».

لما ورد في الحديث: «ثم ليتخير من الدعاء ما شاء» [رواه البخاري].

وقد وردت أدعية في ذلك تقدم ذكر طرف منها في الدرس التاسع فليراجع.

وقوله: «الجهر في القراءة..» إلخ.

قال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: «الجهر في مواضع الجهر، والإسرار في

مواضع الإسرار مجمع على استحبابه، ولم يختلف المسلمون في مواضعه، والأصل في ذلك فعل النبي ﷺ، وقد ثبت ذلك بنقل الخلف عن السلف».

قوله: «ما زاد عن الفاتحة...» الخ.

قال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: (إن قراءة السورة بعد الفاتحة مسنونة في الركعتين من كل صلاة، لا نعلم في هذا خلافاً).

ومما يسن جهر الإمام بالتكبير، لقوله ﷺ: «إذا كبر الإمام فكبروا» وبالتسميع لقوله ﷺ: «وإذا قال: سمع الله لمن حمده. فقولوا: ربنا ولك الحمد». ويسر مأموم ومنفرد.

ويسن أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم سرًّا، فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وكيف ما تعوذ من الوارد فحسن، ثم يبسمل سرًّا، وليست من الفاتحة ولا غيرها، بل آية من القرآن قبلها وبين كل سورتين سوى براءة والأنفال، ويسن كتابتها أوائل الكتب، كما كتبها سليمان -عليه السلام-، وكما كان النبي ﷺ يفعل، وتذكر في ابتداء جميع الأفعال، وهي تطرد الشيطان.

وفي قراءة الفاتحة يستحب الوقوف على كل آية لقراءته ﷺ، ثم يقول: آمين. بعد سكتة لطيفة، ليعلم أنها ليست من القرآن، ومعناها: اللَّهُمَّ استجب. يجهر بها إمام ومأموم معاً في صلاة جهرية، ويستحب سكوت

الإمام بعدها في صلاة جهرية لحديث سمرة. ويستحب قراءة سورة كاملة بعد الفاتحة، ويجزي آية إلا أن أحمد استحب أن تكون طويلة، فإن كان في غير الصلاة فإن شاء جهر بالبسملة وإن شاء أسر، وتكون السورة في الفجر من طوال المفصل، وأوله (ق) لقول أوس: سألت أصحاب محمد ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاثاً، وخمساً وسبعاً وتسعاً، وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل واحد، ويقرأ في المغرب من قصاره، ويقرأ في البواقي من أوساطه إن لم يكن عذر، وإلا قرأ بأقصر منه، ولا بأس بجهر امرأة في الجهرية إذا لم يسمعها أجنبي، والمتنفل في الليل يراعي المصلحة فإن كان قريباً منه من يتأذى بجهره أسر، وإن كان ممن يستمع له جهر، وإن أسر في جهر وجهر في سر بنى على قراءته، وترتيب الآيات واجب لأنه بالنص.

قوله: «ما زاد عن واحدة في تسبيح...» الخ.

قال العلماء: أدنى الكمال ثلاث، وأعلاه في حق الإمام عشر، واعلم أنه لا يقرأ في الركوع والسجود لنهيه ﷺ عن ذلك، وقوله: ما زاد عن «**ربنا ولك الحمد**» مثل أن يقول: «**ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد**» وإن شاء زاد: «**أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» وله أن يقول غيره مما ورد. وإن شاء قال: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد. بلا واو، لوروده في حديث أبي سعيد وغيره.

ومما يستحب مباشرة المصلّي ببطون كفيه وضم أصابعهما موجهة إلى القبلة غير مقبوضة، رافعاً مرفقيه.

قوله: ما زاد على «رب اغفر لي».

ولا بأس بالزيادة، لقول ابن عباس: كان النبي ﷺ يقول بين السجدتين: **«رب اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني»** [رواه أبو داود] وإن شاء دعا فيه أي السجود، لقوله ﷺ: **«وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»** [رواه مسلم]، وله عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: **«اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي كله: دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»**.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ثم يجلس للتشهد مفترشاً، جاعلاً يديه على فخذيه، باسطاً أصابع يسراه مضمومة، مستقبلاً بها القبلة، قابضاً من يمناه الخنصر والبنصر، محلقاً إبهامه مع وسطاه، ثم يتشهد سرًّا ويشير بسبابته اليمنى في تشهده إشارة إلى التوحيد، ويشير بها عند دعائه في صلاة وغيرها، لقول ابن الزبير: كان النبي ﷺ يشير بأصبعه إذا دعا ولا يحركها [رواه أبو داود].

ومن السنن الالتفات يميناً وشمالاً عند السلام، ويكون عن يساره أكثر بحيث يُرى خده، ويجهر إمام بالتسليمة الأولى فقط ويسرهما غيره، ويسن حذفه وهو عدم تطويله، أي لا يمد به صوته، وينوي به الخروج من

الصلاة، وينوي أيضاً السلام على الحفظة وعلى الحاضرين.

والسنة أن ينحرف الإمام إلى المأمومين على يمينه أو على شماله، ولا يطيل الإمام الجلوس بعد السلام مستقبل القبلة، ولا ينصرف المأموم قبله، لقوله ﷺ: «إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالانصراف»، فإن صلى معهم نساء انصرف النساء وثبت الرجال قليلاً، لئلا يدركوا من انصرف منهن، ويسنّ ذكر الله والدعاء والاستغفار عقب الصلاة، فيقول: «أستغفر الله» ثلاثاً ثم يقول: «اللَّهُمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد» ثم يسبح ويحمد ويكبر كل واحدة ثلاثاً وثلاثين، ويقول تمام المائة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» ويقول بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب قبل أن يكلم أحداً من الناس: «اللَّهُمَّ أجرني من النار» سبع مرات، والإسرار بالدعاء أفضل وكذا بالدعاء المأثور، ويكون بتأدب وخشوع وحضور قلب ورغبة ورهبة، لحديث: «لا يستجاب الدعاء من قلب غافل» ويتوسل بالأسماء والصفات والتوحيد، ويتحرى أوقات الإجابة: وهي ثلث الليل

الآخر، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة، وآخر ساعة، وبين الأذان يوم الجمعة. وينتظر الإجابة ولا يعجل، فيقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي ولا يكره أن يخص نفسه إلا في دعاء يؤمن عليه ويكره رفع الصوت.

واعلم أن الشيخ ذكر بعض السنن، وإلا فإن أهل العلم يقسمون السنن إلى سنن أقوال وسنن أفعال كما تقدم.

فسنن الأقوال سبع عشرة: الاستفتاح والتعوذ والبسملة والتأمين وقراءة السورة في الأولين، وفي صلاة الفجر والجمعة والعيدين والتطوع كله والجهر والإخفات وقول ملء السماء والأرض إلى آخره، وما زاد على المرة في تسبيح ركوع وسجود وقول: رب اغفر لي والتعوذ في التشهد الأخير، والصلاة على آل النبي ﷺ والبركة عليه وعليهم، وسوى ذلك فسنن أفعال مثل كون الأصابع مضمومة مبسوطة، مستقبلاً بها القبلة عند الإحرام، والركوع والرفع منه، وحطهما عقب ذلك، وقبض اليمين على كوع الشمال، وجعلهما تحت سرته، والنظر إلى موضع سجوده وتفريقه بين قدميه في قيامه ومراوحته بينهما، وترتيل القراءة، والتخفيف للإمام، وكون الأولى أطول من الثانية، وقبض ركبتيه بيديه مفرجتي الأصابع في الركوع، ومد ظهره مستوياً، وجعل رأسه حياله، ووضع ركبتيه قبل يديه في سجوده، ورفع يديه قبلهما في القيام، وتمكين جبهته وأنفه من الأرض ومجافاة عضديه عن جنبيه، وبطنه

عن فخذيه، وفخذيه عن ساقيه، وإقامة قدميه وجعل بطون أصابعهما إلى الأرض مفرقة، ووضع يديه حذو منكبيه، مبسوطة الأصابع إذا سجد، وتوجيه أصابع يديه مضمومة إلى القبلة ومباشرة المصلّي بيديه وجبهته وقيامه إلى الركعة على صدور قدميه، معتمداً بيديه على فخذيه، والافتراش في الجلوس بين السجدتين، والتشهد والتورك في الثاني، ووضع يديه على فخذيه مبسوطتين مضمومتي الأصابع، مستقبلاً بهما القبلة بين السجدتين، وفي التشهد وقبض الخنصر والبنصر من اليمنى، وتحليق إبهامها مع الوسطى والإشارة بسبابتها والالتفات يميناً وشمالاً في تسليمه وتفضيل الشمال على اليمين في الالتفات.

سجود السهو للصلاة:

وأما سجود السهو فقال أحمد يحفظ فيه عن النبي ﷺ خمسة أشياء، سلم من اثنتين فسجد وسلم من ثلاث فسجد وفي الزيادة والنقصان وقام من الثنتين فلم يتشهد، قال الخطابي: المعتمد عليه عند أهل العلم هذه الأحاديث الخمسة، يعني حديثي ابن مسعود وأبي سعيد وأبي هريرة وابن بحينة، وسجود السهو يشرع للزيادة والنقص، وشك في فرض ونفل، إلا أن يكثر فيصير كوسواس فيطرحه. وكذا في الوضوء والغسل وإزالة النجاسة، فمتى زاد من جنس الصلاة قياماً أو ركوعاً أو سجوداً أو قعوداً عمداً بطلت، وسهواً يسجد له، لقوله ﷺ: «**إذا زاد الرجل أو نقص في صلاته فليسجد**

سجدتين» [رواه مسلم]. ومتى ذكر عاد إلى ترتيب الصلاة بغير تكبير، وإن زاد ركعة قطع متى ذكر، وبنى على فعله قبلها، ولا يتشهد إن كان قد تشهد ثم سجد وسلم، ولا يعتد بالركعة الزائدة مسبوقه، ولا يدخل معه من علم أنها زائدة، وإن كان إماماً أو منفرداً فنبهه ثقتان لزمه الرجوع ولا يرجع إن نبهه واحد إلا أن يتيقن صوابه، لأنه ﷺ لم يرجع إلى قول ذي اليدين.

ولا يبطل الصلاة عمل يسير كفتحه ﷺ الباب لعائشة وحمله أمامة ووضعها، وإن أتى بقول مشروع في الصلاة في غير موضعه: كالقراءة في القعود والتشهد في القيام لم تبطل به.

وينبغي السجود لسهوه، لعموم قوله ﷺ: «إذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين» وإن سلم قبل إتمامها عمداً بطلت وإن كان سهواً، ثم ذكر قريباً أتمها ولو خرج من المسجد أو تكلم يسيراً لمصلحتها، وإن تكلم سهواً أو نام فتكلم أو سبق على لسانه حال قراءته كلمة من غير القرآن لم تبطل، وإن قهقه بطلت إجماعاً لا إن تبسم.

وإن نسي ركناً غير التحريمة فذكره في قراءة الركعة التي بعدها بطلت التي تركه منها، وصارت الأخرى عوضاً عنها، ولا يعيد الافتتاح قاله أحمد، وإن ذكره قبل الشروع في القراءة عاد فأتى به وبما بعده، وإن نسي التشهد الأول ونهض لزمه الرجوع والإتيان به ما لم يستتم قائماً لحديث المغيرة [رواه أبو داود]، ويلزم المأموم متابعته ويسقط عنه التشهد ويسجد للسهو،

ومن شك في عدد الركعات بنى على اليقين، ويأخذ مأموم عند شكه بفعل إمامه، ولو أدرك الإمام راكعاً وشك: هل رفع الإمام رأسه قبل إدراكه راكعاً لم يعتد بتلك الركعة، وإذا بنى على اليقين أتى بما بقي، ويأتي به المأموم بعد سلام إمامه ويسجد للسهو، وليس على المأموم سجود سهو إلا أن يسهو إمامه فيسجد معه ولو لم يتم التشهد ثم يتمه بعد سجوده، ويسجد مسبوق لسلامه مع إمامه سهواً ولسهوه معه وفيما انفرد به، ومحله قبل السلام إلا إذا سلم عن نقص ركعة فأكثر، لحديث عمران وذي اليدين، وإلا في ما إذا بنى على غالب ظنه إن قلنا به فيسجد ندباً بعد السلام، لحديث علي وابن مسعود، وإن نسيه قبل السلام أو بعده أتى به ما لم يطل.

مكروهات الصلاة:

ويكره في الصلاة التفات يسير ورفع بصره إلى السماء وصلاته إلى صورة منصوبة أو إلى وجه آدمي واستقبال نار ولو سراجاً وافتراش ذراعيه في السجود، ولا يدخل فيها وهو حاقن أو حاقب أو بحضرة طعام يشتهيه بل يؤخرها ولو فاتته الجماعة، ويكره مس الحصى وتشبيك أصابعه واعتماده على يديه في جلوس، ولمس لحيته، وعقص شعره، وكف ثوبه. وإن تثاءب كظم ما استطاع، فإن غلبه وضع يده في فمه، ويكره تسوية التراب بلا عذر، ويرد المار بين يديه ولو بدفعه آدمياً كان المار أو غيره فرضاً كانت الصلاة أو نفلاً، فإن أبى فله قتاله، ولو مشى يسيراً ويحرم المرور بين المصلي

وبين سترته، وبين يديه إن لم يكن له سترة، وله قتل حية وعقرب وقملة وتعديل ثوب وعمامة وحمل شيء ووضعه، وله إشارة بيد ووجه وعين لحاجة، ولا يكره السلام على المصلي، وله رده بالإشارة ويفتح على إمامه إذا ارتج عليه أو غلط، وإن نابه شيء في صلاته سبح رجل وصفقت امرأة وإن بدره بصاق أو مخاط وهو في المسجد بصق في ثوبه وفي غير المسجد عن يساره، ويكره أن يبصق قدامه أو عن يمينه.

وتكره صلاة غير مأموم إلى غير سترة ولو لم يخش ماراً من جدار أو شيء شاخص كحربة أو غير ذلك مثل آخرة الرحل، ويسن أن يدنو منها لقوله ﷺ: «**إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة ويدن منها**»، وينحرف عنها يسيراً لفعله ﷺ، وإن تعذر خط خطًّا وإذا مر من ورائها شيء لم يكره.

الدرس الحادي عشر:

مبطلات الصلاة

مبطلات الصلاة، وهي ثمانية:

1 ـ الكلام العمد مع الذكر والعلم، أما الناسي والجاهل فلا تبطل صلاته بذلك.

2 ـ الضحك.

3 ـ الأكل.

4 ـ الشرب.

5 ـ انكشاف العورة.

6 ـ الانحراف الكثير عن جهة القبلة.

7 ـ العبث الكثير المتوالي في الصلاة.

8 ـ انتقاض الطهارة.

قوله: «الكلام العمد..» الخ.

لما روى زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل منا

صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: 237]،فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

وقوله: «أما الناسي والجاهل...» الخ.

كما في قصة معاوية بن الحكم السُّلمي لما تكلم في الصلاة جاهلاً، وقال له النبي ﷺ: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»** [رواه مسلم]. ولم يأمره النبي ﷺ بالإعادة.

قوله: «الضحك: لقول ابن المنذر -رحمه الله-»:

أجمعوا على أن الضحك يفسد الصلاة.

وقوله: «الأكل والشرب»:

قال ابن المنذر -رحمه الله-: أجمع كل من نحفظ عنه أن من أكل أو شرب في الفرض عامداً أن عليه الإعادة.

قوله: «انكشاف العورة»:

لأن سترة العورة شرط من شروط الصلاة كما تقدم في الدرس السادس، فإذا انكشفت العورة عمداً بطلت الصلاة.

قوله: «انحراف الكثير..» إالخ:

لأن استقبال القبلة شرط من شروط الصلاة كما تقدم في الدرس

السادس، فإذا انحرف عن القبلة انحرافاً كثيراً عامداً بطلت صلاته.

العبث الكثير المتوالي فـي الصلاة:

فإن كثر متوالياً أبطل الصلاة إجماعاً. قاله في الكافي. قال: وإن قل لم يبطلها... لحمله ﷺ أمامة في صلاته، إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها.. وتقدم وتأخر في صلاة الكسوف.

انتقاض الطهارة:

لأنها شرط لصحة الصلاة، فإذا انتقض الوضوء بطلت الصلاة.

ولقوله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».

الدرس الثاني عشر:

شروط الوضوء

شروط الوضوء، وهي عشرة:

الإسلام، والعقل، والتمييز، والنية، واستصحاب حكمها بأن لا ينوي قطعها حتى تتم طهارته، وانقطاع موجب الوضوء، واستنجاء أو استجمار قبله، وطهورية ماء وإباحته، وإزالة ما يمنع وصوله إلى البشرة، ودخول وقت الصلاة في حق من حدثه دائم.

الوضوء بالفتح: الماء الذي يُتوضأ به، والوضوء بالضم أفعال الوضوء.

وتعريفه في الشرع: هو استعمال ماء طهور على أعضاء قد بيّنها وشرعها الله.

قوله: «وهي عشرة.. الإسلام..» الخ.

وهذه الثلاثة سبق بيانها في شروط الصلاة في الدرس السادس.

وأما النية فهي شرط في جميع الأعمال، وهي عزم القلب على فعل الوضوء امتثالاً لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ. ولا يشرع التلفظ بها بل التلفظ بها بدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «**محل النية القلب دون**

اللسان، باتفاق أئمة المسلمين في جميع العبادات» فلا يصح الوضوء ممن لم ينو الوضوء ولو غسل أعضاء الوضوء ولم ينو به الوضوء، فلذا لا يصح أن يقصد بغسل الأعضاء الوضوء إزالة الأوساخ والنجاسات عنها، بل يجب عليه أن يداوم على النية حال قيامه بالطهارة حتى تتم، فلو نوى قطع الطهارة انقطعت.

وقوله: «انقطاع موجب الوضوء».

يريد أنه لابد أن ينقطع الخارج من السبيلين أو القيء أو النوم قبل الابتداء بالوضوء، فلا يبدأ بالوضوء وهو لم يتم قضاء حاجته، أو يُوضّأ مثلاً وهو نائم مستغرق في نومه دون أن يعلم.

قوله: «واستنجاء...» الخ.

الاستنجاء هو إزالة الخارج من السبيلين بالماء، وقد يطلق على الاستجمار، والاستجمار هو إزالة الخارج من السبيلين بالأحجار ونحوها، فيجب على من قضى حاجته أن يستنجي أو يستجمر قبل البدء بالوضوء أما إذا كان لم يقض حاجته ولم يخرج من سبيليه شيء فلا يشترط أن يستنجي أو يستجمر كما يظنه بعض الناس.

وقوله: «وطهورية ماء..».

فلا يجوز الوضوء بالماء النجس بل يجب الوضوء بالماء الطهور، ولا يجوز

الوضوء بالماء المغصوب والماء المسروق، لحديث النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وقوله: «وإزالة ما يمنع وصوله..» الخ.

أي: فيجب إزالة ما يمنع وصول الماء إلى البشرة ليحصل الإسباغ المأمور به، ومما يمنع وصول الماء الأصباغ التي لها جُرم والعجين وغيرها، مما يمنع جريان الماء على جلد العضو مباشرة من غير حائل.

وقوله: «دخول وقت الصلاة في حق من حدثه دائم» كمن به سلس البول ونحوه.

لأمره ﷺ للمستحاضة أن تتوضأ لكل صلاة. [رواه أبو داود والترمذي].

الدرس الثالث عشر:

فروض الوضوء

فروض الوضوء، وهي ستة:

غسل الوجه، ومنه المضمضة والاستنشاق وغسل اليدين مع المرفقين ومسح جميع الرأس، ومنه الأذنان، وغسل الرجلين مع الكعبين، والترتيب والموالاة، ويستحب تكرار غسل الوجه، واليدين، والرجلين ثلاث مرات، وهكذا المضمضة، والاستنشاق، والفرض من ذلك مرة واحدة، أما مسح الرأس فلا يستحب تكراره، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة.

قوله: فروض الوضوء.. غسل الوجه.. الخ. حد الوجه من منابت شعر الرأس إلى ما انحدر من اللحيين والذقن وإلى أصول الأذنين، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [المائدة: 6].

وفي حديث حمران في وصف وضوء عثمان -رضي الله عنه- الذي وصف فيه وضوء النبي ﷺ قال: **(ثم غسل وجهه ثلاث مرات)** والدليل على وجوب المضمضة والاستنشاق لكون الأنف والفم من والوجه، وكل من وصف وضوء النبي ﷺ ذكر المضمضة والاستنشاق.

والمضمضة هي غسل الفم وتحريك الماء فيه.

وفي حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «إذا توضأت فمضمض». والاستنشاق هو إيصال الماء إلى داخل الأنف وجذبه بالنفس إلى أقصاه.. ولابد بعده من الاستنثار وهو إخراج الماء من الأنف بعد الاستنشاق، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماءً ثم ليستنثر». [متفق عليه].

ويكون الاستنشاق باليمنى والاستنثار باليسرى، كما وردت بذلك السنة.

والسنة في المضمضة والاستنشاق أن يكونا بغرفة واحدة، كما ورد في وصف وضوء النبي ﷺ قال: «فمضمض واستنشق» ويسن المبالغة فيهما لغير الصائم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «وبالغ في المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً» [رواه أبو داود والترمذي من حديث لقيط بن صبرة].

وقوله: «غسل اليدين» الخ هذا هو الفرض الثاني والمرفق هو موصل الذراع في العضد، فتغسل اليدان إلى المرفقين، قال تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: 6]. وفي حديث حمران: (ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ثم اليسرى مثل ذلك) [متفق عليه]، والمرفق يغسل مع اليد. لأن النبي ﷺ كان يغسل مرافقه في الوضوء، قال العلماء: و«إلى» هنا بمعنى

«مع». والثالث مسح الرأس، قال تعالى: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾ [المائدة: 6]. وصفة المسح كما مسح النبي ﷺ وقد وصفه عبد الله بن زيد -رضي الله عنه- قال: «إن النبي ﷺ، مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، فبدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردّهما إلى المكان الذي بدأ منه» [رواه البخاري ومسلم]. ويكفي في الرأس مسحة واحدة فقط. والأذنان تبع الرأس، قال عليه الصلاة والسلام: «الأذنان من الرأس» [رواه الترمذي وأبو داود بسند صحيح]. وقد كان ﷺ يمسح رأسه وأذنيه في الوضوء.

ولا يشرع أخذ ماء جديد للأذنين، بل بما تبقى من مسح رأسه، وصفة المسح للأذنين كما في حديث ابن عمر -رضي الله عنهم- قال: «ثم مسح برأسه وأدخل السبابتين في أذنيه، ومسح بإبهامه ظاهر أذنيه» [أخرجه أبو داود والنسائي]. والرابع غسل الرجلين إلى الكعبين، قال تعالى: ﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [المائدة: 6]. وفي حديث حمران: (ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم اليسرى مثل ذلك) [متفق عليه]. والكعبان هما العظمان الناتئان في آخر الساق وفوق القدمين، ويدخلان في الغسل وجوباً. قوله: «والترتيب» هذا هو الفرض الخامس من فروض الوضوء، وذلك لأن الله تعالى ذكر الوضوء مرتباً في الآية، وتوضأ رسول الله ﷺ مرتباً، والمقصود بالترتيب أن يأتي بالوضوء كما أمره الله ورسوله ﷺ دون تقديم لبعض الأعضاء على بعض، فإن قدم بعض الأعضاء لم يجزئه الوضوء، فلو غسل

يديه قبل وجهه لم يصح، أو غسل رجليه قبل مسح رأسه لم يصح، وهكذا. وقد دلت الآية على الترتيب لإدخالها ممسوحاً بين مغسولين، وهو الرأس بين غسل اليدين والرجلين، ولقوله ﷺ: «توضأ كما أمرك الله».

قوله: «الموالاة» هذا هو الفرض السادس من فروض الوضوء، والمقصود بالموالاة ألا يؤخر غسل عضو حتى يجف الذي قبله، فلابد من تتابع غسل أعضاء الوضوء.

وفي الحديث عن خالد بن معدان أن النبي ﷺ رأى رجلاً يصلي وفي ظهر قدميه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره أن يعيد الوضوء. [رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح].

وهذا دليل على وجوب الموالاة في الوضوء، ولو لم تجب لأمره بغسل اللمعة فقط.

وكل من وصف وضوء النبي ﷺ وصفه متوالياً، وهو ﷺ المشرع لأمته.

والواجب غسل هذه الأعضاء مرة واحدة، والثانية أفضل، وأفضل من الكل أن تغسل ثلاثاً.

أخرج ابن ماجه أن النبي ﷺ توضأ مرة مرة، وقال: هذا وضوء من لم يتوضأه لم يقبل الله له صلاة. ثم توضأ مرتين، ثم قال: «هذا وضوئي ووضوء المرسلين قبلي»، ودليل التثليث. تقدم من حديث عثمان وغيره.

الدرس الرابع عشر:

نواقض الوضوء

نواقض الوضوء وهي ستة:

الخارج من السبيلين، والخارج الفاحش النجس من الجسد، وزوال العقل بنوم أو غيره، ومس الفرج باليد قبلاً كان أو دبراً من غير حائل، وأكل لحم الإبل، والردة عن الإسلام، أعاذنا الله من ذلك.

تنبيه هام: أما غسل الميت فالصحيح أنه لا ينقض الوضوء، وهو قول أكثر أهل العلم لعدم الدليل على ذلك، لكن لو أصابت يد الغاسل فرج الميت من غير حائل وجب عليه الوضوء. والواجب عليه ألا يمس فرج الميت إلا من وراء حائل، وهكذا مس المرأة لا ينقض الوضوء مطلقاً، سواء كان ذلك عن شهوة، أو غير شهوة في أصح قولي العلماء، ما لم يخرج منه شيء؛ لأن النبي ﷺ قبَّل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ. أما قول الله سبحانه في آيتي النساء، والمائدة: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: 43]، [المائدة: 6]، فالمراد به: الجماع، في الأصح من قولي العلماء، وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهم- وجماعة من السلف والخلف. والله ولي التوفيق.

تكلم المؤلف في الدرس السابق عن الوضوء، وأراد أن يبين هنا الأشياء

التي تنقضه، ليكون المسلم على بصيرة من أمر دينه، فذكر لنا أن نواقض الوضوء هي:

الأول: الخارج من السبيلين: قليلاً كان أو كثيراً، وهو نوعان:

(أ) معتاد كالبول والغائط فينقض بغير خلاف، قاله ابن عبد البر لقوله: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ [المائدة: 6].

وفي الحديث: «**ولكن من غائط وبول**» وفي آخر «**فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً**» [متفق عليه].

(ب) نادر كالدود والشعر والحصى فينقض لقول النبي ﷺ للمستحاضة: «**توضئي لكل صلاة**» ودمها غير معتاد، ولأنه خارج من السبيلين فأشبه المعتاد.

الثاني: الخارج الفاحش النجس من الجسد، فخروج النجاسة من بقية البدن ينقض الوضوء إذا كان كثيراً، أما اليسير منه فلا ينقض لقول ابن عباس في الدم: «**إذا كان فاحشاً فعليه الإعادة**»، وابن عمر عصر بثرة «**فخرج دم فصلى ولم يتوضأ**» ولم يعرف لهما مخالف من الصحابة فكان إجماعاً. قاله في المغني وغيره.

الثالث: زوال العقل بنوم أو غيره: كالجنون والإغماء والسكر، لقول النبي ﷺ: «**العين وكاء السه، فمن نام فليتوضأ**»، والإغماء والجنون والسكر

أبلغ في إزالة العقل، فهي تنقض الوضوء من باب أولى. وقال ﷺ: «**ولكن من غائط وبول ونوم**» وضابط النوم، هو المستغرق بحيث لا يحس النائم بمن حوله.

الرابع: مس الفرج باليد قبلاً كان أو دبراً من غير حائل: لقوله ﷺ: «**من مس فرجه فليتوضأ**» [رواه النسائي وابن ماجه والحاكم والدارقطني والإمام أحمد من حديث بسرة بنت صفوان، وصححه الألباني كما في الإرواء].

الخامس: أكل لحم الجزور: لما روى جابر بن سمرة أن رجلاً سأل النبي ﷺ: «**أتوضأ من لحوم الإبل؟**» قال: «**نعم توضأ من لحوم الإبل**» [رواه مسلم].

وأما مرق الإبل ولبنها فلا يتوضأ منه.

السادس: الردة عن الإسلام: أعاذنا الله من ذلك، لقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: 65]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ [المائدة: 5].

تنبيه هام:

أما غسل الميت: فالصحيح أنه لا ينقض الوضوء.. الخ. قال ابن قدامة -رحمه الله-: وهذا قول أكثر الفقهاء وهو الصحيح ـ إن شاء الله ـ لأن الوجوب من الشرع، ولم يرد في هذا نص.

قوله: **(وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهم- وجماعة)**، منهم عائشة وعلي -رضي الله عنهم- وعطاء والحسن وطاوس والشعبي وعكرمة وسعيد بن جبير ـ رحمهم الله تعالى ـ. أما مسألة غسل الميت ومس المرأة فقد بيّن شيخنا في المتن كلام أهل العلم، ورجح -رحمه الله- عدم النقض في المسألتين، والله أعلم.

الدرس الخامس عشر:

التحلي بالأخلاق المشروعة لكل مسلم

التحلي بالأخلاق المشروعة لكل مسلم، ومنها: الصدق، والأمانة، والعفاف والحياء، والشجاعة، والكرم، والوفاء، والنزاهة عن كل ما حرم الله وحسن الجوار ومساعدة ذوي الحاجة حسب الطاقة، وغير ذلك من الأخلاق التي دل الكتاب أو السنة على شرعيتها.

الدرس السادس عشر:

التأدب بالآداب الإسلامية

التأدب بالآداب الإسلامية ومنها:

السلام، والبشاشة، والأكل باليمين والشرب بها، والتسمية عند الابتداء، والحمد عند الفراغ، والحمد بعد العطاس، وتشميت العاطس إذا حمد الله، وعيادة المريض، واتباع الجنائز للصلاة والدفن، والآداب الشرعية عند دخول المسجد أو المنزل أو الخروج منهما، وعند السفر، ومع الوالدين، والأقارب والجيران والكبار والصغار والتهنئة بالمولود، والتبريك بالزواج، والتعزية في المصاب، وغير ذلك من الآداب الإسلامية في اللبس والخلع والانتعال.

بعد أن بيّن المؤلف -رحمه الله- أحكام الفقه الأكبر والفقه الأصغر في الدروس السابقة أراد أن يُبيّن لعامة الأمة بعض الأخلاق والآداب الإسلامية، فعليك ـ أخي المسلم وفقنا الله وإياك لكل خير ـ أن تعمل بها لتضرب للناس أروع الأمثال وأحسنها بتلك الأخلاق الإسلامية الرفيعة والآداب الرائعة النبيلة.

ولقد انتشر الإسلام في أرجاء المعمورة في بداية الأمر بتعامل تجار

المسلمين مع غيرهم، فهم صادقون وأمناء، فأملي بالله ثم بك أخي المسلم أن تكون ممن يتصف بهذه الصفات الحميدة.

ومما ينبغي معرفته أنه يشرع لكل مسلم التخلق بالأخلاق الفاضلة، التي أمر الله بها وحث عليها النبي ﷺ.

فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد والحاكم بسند صحيح].

وفي الحديث: «**إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**» [أخرجه الحاكم وأبو نعيم بسند صحيح].

وقد وصف الله نبيه ﷺ بالخلق العظيم فقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤**﴾ [القلم: 4].

ولما سئلت عائشة -رضي الله عنها- عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: «**كان خلقه القرآن**» [أخرجه مسلم].

وكان عليه الصلاة والسلام يسأل ربه أن يهديه لصالح الأخلاق ويصرف عنه سيئها، فقد ورد في الحديث: «**اللّٰهُمَّ اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللّٰهُمَّ انعشني واجبرني، اللّٰهُمَّ اهدني لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت، ولا يصرف سيئها إلا أنت**» [أخرجه الحاكم وله شاهد عند ابن السني فبمجموع الطريقين يكون الحديث حسناً].

ولهذا كان المؤمن المتصف بالخلق الحسن من أكمل المؤمنين إيماناً، قال عليه الصلاة والسلام: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**» [أخرجه الترمذي وأبو داود بسند حسن].

وقال: «**خياركم أحاسنكم أخلاقاً**» [أخرجه البخاري ومسلم] وقال: «**أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً**» [أخرجه الحاكم بسند حسن].

وحسن الخلق سبب لدخول الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**» [أخرجه أبو داود بسند حسن].

وحسن الخلق سبب لمحبة الله للعبد، قال عليه الصلاة والسلام: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً**» [أخرجه الطبراني بإسناد صحيح].

وحسن الخلق سبب للقرب من الرسول ﷺ يوم القيامة وسبب لمحبته، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**» [أخرجه الترمذي بسند حسن].

وحسن الخلق، من أثقل ما يكون في ميزان العبد؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق**»، [أخرجه أبو داود بسند صحيح].

وحسن الخلق يصل بصاحبه إلى درجة القائم والصائم؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار**»

[رواه أبو داود والحاكم بسند صحيح].

وحسن الخلق يزيد في العمر ويعمر الديار، قال عليه الصلاة والسلام: «حسن الخلق وحسن الجوار يُعمران الديار ويزيدان في الأعمار» [أخرجه أحمد بسند صحيح].

قال الشيخ «الصدق»: والصدق أمر الله به، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: 119].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» [الحديث أخرجه البخاري ومسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» [رواه الترمذي].

ومن الصدق الصدق بالكلام، والصدق بالموعد، والصدق في البيع والشراء.

فكن أخي المسلم شعارك الصدق، وعوّد نفسك عليه في جميع الأحوال، فإن الصدق منجاة.

وأما الأمانة فقد أمر الله تعالى بها وحمّلها الإنسان بعدما أشفقت السماوات والأرض من حملها، وأعظم الأمانة الفرائض وحدود الله. قال الله

تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: 72].

ومن الأمانة أداء العمل كما كلف به الإنسان، ومن الأمانة أمانة الأولاد والأهل وتربيتهم التربية الصالحة، ومن الأمانة أن تنظر إلى حواسك فلا تستعملها إلا في طاعة الله -عز وجل-، ومن الأمانة أمانة المجالس قال عليه الصلاة والسلام: «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق» رواه أبو داود.

ومن الأمانة ما يكون بين الرجل وزوجته، قال عليه الصلاة والسلام: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها» [رواه أحمد].

ومن الأمانة أداء الودائع وحفظها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: 58].

وقال عليه الصلاة والسلام: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» [رواه الترمذي وأبو داود بسند صحيح].

ومن علامة المنافق عدم أداء الأمانة، قال عليه الصلاة والسلام في صفة المنافق: «وإذا أؤتمن خان».

وأما العفاف والاستعفاف عن الحرام فمما يجب على المسلم أن يتصف به. قال تعالى: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ [النور: 33].

فالمسلم يعف عن الوقوف في المحرمات من الفواحش يرجو ما عند الله من الأجر والمثوبة، وقد ذكر المصطفى ﷺ أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله».

ومن العفاف التعفف عن سؤال الناس، قال تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البقرة: 273]. وقال عليه الصلاة والسلام: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله» [رواه البخاري ومسلم].

والحياء خلق يبعث على ترك الأمور القبيحة، فيحول بين الإنسان وارتكاب المعاصي، ويمنعه من التقصير في حق الله وحق عباده.

ومما يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» [أخرجه البخاري].

والحياء شعبة من الإيمان قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن

الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [أخرجه البخاري ومسلم].

والحياء لا يأتي إلا بخير، وهو خير كله، ويحبه الله تعالى. قال عليه الصلاة والسلام: «**الحياء خير كله**» [رواه مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله حيي ستير، يحب الحياء والستر**» [أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد].

وأعظم الحياء الحياءُ من الله ﷻ، قال عليه الصلاة والسلام: «**استحيوا من الله حق الحياء، ومن استحيي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**» [أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم وهو حديث حسن صحيح].

والشجاعة في الحق من صفات المسلم وأخلاقه العظيمة، والشجاعة تكون في القلب، والقوة تكون في الجسم، فالمسلم يقول كلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم.

والكرم من كريم خصال المؤمن وأخلاقه، وكان عليه الصلاة والسلام من أجود الناس وأكرمهم، قال ابن عباس -رضي الله عنهم-: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس**» الحديث.

ووصف الله عباده المؤمنين بالكرم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم

﴿ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: 274].

ومن الكرم إكرام الضيف والجار، قال عليه الصلاة والسلام: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»**.

والإنفاق والجود خير للإنسان من الإمساك، قال عليه الصلاة والسلام: **«يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسك شر لك»** [رواه مسلم والترمذي].

وكلما بذل الإنسان خلف الله عليه خيراً مما بذل، قال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 272].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفق عليك»** [رواه البخاري ومسلم].

وأما الوفاء بالوعد والعهد فهو من أعظم أخلاق المسلم التي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة: 1]، قال تعالى:

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾ [النحل: 91].

وعدم الوفاء من صفات المنافقين، فقد ذكر عليه الصلاة والسلام أن

من خصال المنافق: «وإذا عاهد غدر» وعدّ كذلك: «وإذا وعد أخلف».

ومن الوفاء الوفاءُ بالعهد والشرط والميثاق، سواءً كان في بيع وشراء أو وعد أو في النكاح، قال عليه الصلاة والسلام: «إن أحق الشروط ما استحللتم به الفروج»، وقال ﷺ: «المسلمون على شروطهم». كل ذلك حثًّا للأمة للوفاء وعدم الغدر والخيانة.

فليحذر المسلم من الخيانة وعدم الوفاء بحقوق إخوانه المسلمين.

وأما طلب الحلال والتنزه عن الحرام فهو فريضة على كل مسلم، فالمسلم مأمور بالأكل من الطيبات ومما أباح الله وترك ما حرم الله -عز وجل-.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: 172]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب. يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك» [رواه مسلم].

فالمسلم مأمور باجتناب المحرم من أكل الربا، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:

278].

ومن الحرام أكل مال اليتيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ [النساء: 10].

ومن الحرام أكل الرشوة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 188].

فالمسلم يتنزه عن الحرام وعن المشتبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» [رواه النسائي والترمذي بسند صحيح].

والوقوع في المشتبهات سبب للوقوع في الحرام. قال عليه الصلاة والسلام: «إن الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام: كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله محارمه..» [الحديث رواه البخاري ومسلم].

وأما الإحسان إلى الجار فمما جاءت به الشريعة، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ

﴿وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النساء: 36].

قال القرطبي -رحمه الله- في [الجامع لأحكام القرآن الكريم 183/5]: «الوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها: مسلماً كان أو كافراً، وهو الصحيح، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه».

وأمر الرسول ﷺ بالإحسان إلى الجار، فقال: «كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قَنِعاً تكن أشكر الناس، وأحِب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً» [رواه ابن ماجه وأبو يعلى وأبو نعيم في الحلية وهو حسن].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [متفق عليه].

ومن الإحسان إلى الجار الهدية له، قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر -رضي الله عنه-: «إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف» [رواه مسلم].

ولا تختص الهدية بالفقير، بل حتى للغني والموسر من الجيران، وخير الجيران خيرهم لجاره، قال عليه الصلاة والسلام: «خير الجيران عند الله

خيرهم لجاره» [رواه الترمذي وأحمد والدارمي والحاكم بسند صحيح].

والجار الصالح من السعادة في الدنيا، فعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء» الحديث رواه ابن حبان بسند صحيح.

ومن الإحسان إلى الجار أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ونصيحته وإرشاده لما فيه الخير.

وأما مساعدة ذوي الحاجات فهي من أفضل القربات وأجَلّ الطاعات، قال عليه الصلاة والسلام: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» [رواه البخاري ومسلم].

ومن أصحاب الحاجات الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، قال عليه الصلاة والسلام: «الساعي على الأرملة والمسكين: كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر» [رواه البخاري ومسلم].

ومن أصحاب الحاجات من يحتاج إلى شفاعة، والرسول ﷺ يقول لأصحابه: «اشفعوا تؤجروا» [رواه البخاري ومسلم].

فكل حاجة يحتاجها أخوك المسلم منك ينبغي عليك أن تبذلها له، حتى قال عليه الصلاة والسلام: «وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة» [رواه البخاري ومسلم].

وقد دل الكتاب والسنة على كثير من الأخلاق الفاضلة: كالحلم والعفو والصفح والعزة والرحمة وسلامة الصدر من الأحقاد والصبر والرفق وطيب الكلام والتواضع.

ولسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- رسالة قيمة بعنوان: (أخلاق المؤمنين والمؤمنات) فلتراجع، ففيها فوائد جمة..

وأما السلام فهو من الآداب الإسلامية، التي شرعها الإسلام للتآلف بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ﴾ [النساء: 86].

وقال عليه الصلاة والسلام لما سئل: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» [رواه البخاري ومسلم].

وعن البراء قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، وذكر منها: «وإفشاء السلام» [رواه البخاري]. وذكر عليه الصلاة والسلام: «إن من حق المسلم على المسلم: إذا لقيته فسلم عليه» [متفق عليه].

والسلام سبب للمودة ودخول الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» [رواه مسلم].

وصفة السلام أن يقول: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**». فعن عمران بن حصين -رضي الله عنهم- قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «**عشر**» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: «**عشرون**» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: «**ثلاثون**» [رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح].

ومن آداب السلام:

1 ـ السلام بالإشارة لا ينبغي إلا إذا صحبه التلفظ بالسلام.

2 ـ خفض الصوت بالسلام إذا كان بحضرة نائم، وقد كان النبي ﷺ يسلم تسليماً: لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان، [رواه مسلم].

3 ـ قال عليه الصلاة والسلام: «**يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير**» [رواه البخاري، ومسلم]، وفي رواية البخاري: «**والصغير على الكبير**».

4 ـ استحباب السلام عند الدخول إلى المنزل.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور: 61].

5 ـ لا يجوز ابتداء الكافر بالسلام، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام**» [رواه مسلم].

ويرد عليهم بـ«**وعليكم**» فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**» [رواه البخاري ومسلم].

6 ـ يستحب السلام عند القيام من المجلس، قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة**» [رواه أبو داود والترمذي].

والبشاشة من الآداب الإسلامية التي يُتأدب بها: وهي طلاقة الوجه عند اللقاء، فعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**» [رواه مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**» [رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي بسند صحيح].

وقال جرير بن عبد الله -رضي الله عنه-: «**ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي**» [رواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح].

والبشاشة من أسباب الألفة بين المسلمين، وهي دليل على سلامة صدر

من يتصف بها.

ومن آداب الطعام والشراب: الأكل والشرب باليمين، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» [رواه مسلم].

ومن آداب الطعام:

1 ـ التسمية، والأكل مما يلي، قال عليه الصلاة والسلام: «يا غلام سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكل مما يليك» [رواه البخاري ومسلم].

2 ـ عدم الاتكاء أثناء الأكل، قال عليه الصلاة والسلام: «إني لا آكل متكئاً» [رواه البخاري].

3 ـ أكل اللقمة الساقطة، فعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها، فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان» [رواه مسلم].

4 ـ عدم عيب الطعام، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه» [رواه البخاري ومسلم].

5 ـ يستحب لعق الإناء الذي فيه الطعام والأصابع، فقد أمر النبي ﷺ بذلك، وقال: «إنكم لا تدرون في أيه البركة» [رواه مسلم]. وفي رواية

الترمذي: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة».

6 ـ الدعاء بعد الانتهاء من الأكل أو الشرب، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقول: «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفى ولا مودع، ولا مستغنى عنه ربنا»، وقال مرة: «الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفى ولا مكفور» [رواه البخاري].

قوله: «والآداب.. عند دخول المسجد..» الخ.

يستحب للمسلم الذي يريد دخول المسجد أن يقدِّم رجله اليمنى، ويقول: «بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللّٰهُمَّ افتح لي أبواب رحمتك» [رواه مسلم وأبو داود].

ويستحب للمسلم إذا دخل بيته أن يذكر اسم الله تعالى، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله تعالى حين يدخل وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء هاهنا، وإن دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال: أدركتم المبيت والعشاء» [رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه].

ويستحب أن يقول الدعاء الوارد، فقد قال رسول الله ﷺ: «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللّٰهُمَّ إني أسألك خير المولج وخير المخرج، باسم الله

ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى ربنا توكلنا. ثم يسلم على أهله» [رواه أبو داود بسند صحيح].

يستحب للمسلم إذا خرج من المسجد أن يقدم رجله اليسرى، ويقول: «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللّٰهُمَّ إني أسألك من فضلك» [رواه مسلم وأبو داود].

ويستحب إذا خرج من بيته أن يقول ما شرعه رسول الله ﷺ حينما قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال: حسبك قد هُديت وكفيت ووُقيت، فيتنحى له الشيطان، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكفي ووقي؟» [رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح].

قوله: «وعند السفر..» الخ.

ويشرع للمسلم عند السفر آدابٌ عظيمة منها:

1 ـ توديع من سيسافر عنهم، قال عليه الصلاة والسلام: «من أراد أن يسافر فليقل لمن يُخلِّف: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه» [رواه أبو داود بسند صحيح].

2 ـ أن يقول دعاء السفر، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهم- قال: «إن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم

قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللَّهُمَّ إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللَّهُمَّ هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللَّهُمَّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل». وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون» [رواه مسلم].

ومن آداب المسافر الترخُّص برخص السفر: من قصر الصلاة، وإن احتاج إلى الجمع جمع، والمسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليهن، والفطر في السفر.

قوله: «ومع الوالدين..» الخ.

إن بر الوالدين والإحسان إليهما من أعظم القربات وأجلّ الطاعات، بل إن الله قرن حقه بحق الوالدين، وجعل العقوق للوالدين مقروناً بالشرك بالله ﷻ، فقال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ [لقمان: 23]، وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: 14].

وفضل بر الوالدين شهدت به النصوص الشرعية، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال:

«الصلاة في وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» [رواه البخاري ومسلم].

وعن عبد الله بن عمرو أن رجلاً قال: يا رسول الله! أبايعك على الهجرة والجهاد، قال: «هل من والديك أحد حي؟» قال: نعم كلاهما، قال: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك وأحسن صحبتهما» [رواه مسلم].

وبر الوالدين سبب لدخول الجنة، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «مَن أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما، ثم لم يدخل الجنة» [رواه مسلم]، وقال عليه الصلاة والسلام: «الوالد أوسط أبواب الجنة» [رواه الترمذي وابن ماجه بسند صحيح].

وعن معاوية بن جاهمة -رضي الله عنهم- أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله! أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: «هل لك من أم؟» قال: نعم، قال: «فالزمها، فإن الجنة عند رجلها» [رواه النسائي وأحمد بسند صحيح].

وفي رواية: «الزمها، فإن الجنة تحت أقدامها» [رواه النسائي وأحمد بسند

صحيح].

وبر الوالدين سبب لرضى الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «**رضى الرب في رضى الوالدين، وسخطه في سخطهما**».

وبر الوالدين سبب لزيادة العمر والرزق، قال عليه الصلاة والسلام: «**من سره أن يمد له في عمره، ويزاد في رزقه: فليبر والديه، وليصل رحمه**» [رواه أحمد].

وبر الوالدين سبب لكل خير، وسبب لدفع كل شر.

ومن الإحسان للوالدين:

1 ـ الإطعام والكسوة والخدمة وإجابة دعوتهما.

2 ـ الطاعة لأوامر الوالدين، قال عليه الصلاة والسلام: «**وأطع والديك، وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما..**» الحديث [رواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح].

3 ـ خفض الجناح لهما، وتكليمهما باللين.

4 ـ أن لا يدعوهما باسمهما.

5 ـ أن يمشي خلفهما.

6 ـ أن يرضى لهما ما يرضى لنفسه، ويكره لهما ما يكره لنفسه.

7 ـ أن يدعو لهما بالمغفرة كلما دعا لنفسه.

8 ـ إكرام أصدقاء الوالدين.

ومهما بذل الإنسان من طرق البر فإنه لا يجازي حقهما، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يجزي ولد والده، إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**» [رواه مسلم].

والإحسان إلى الأقارب سبب للقرب من الجنة والبعد عن النار، فعن أبي أيوب -رضي الله عنه- أن أعرابيًّا عرض للنبي ﷺ مسيرة، فقال: أخبرني ما يقربني من الجنة ويباعدني من النار؟ قال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**» [رواه البخاري ومسلم].

ومن وصل رحمه وصله الله، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال عليه الصلاة والسلام: «**خلق الله -عز وجل- الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك**» ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: 22] [رواه البخاري ومسلم].

وصلة الرحم تزيد في العمر والرزق، قال عليه الصلاة والسلام: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**» [رواه

البخاري وأبو داود].

والصلة تكون بعدم الأذى والمساعدة المالية وبالزيارة وبالدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالنصيحة، كما قال تعالى لنبيه: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: 214].

وقوله: «والجيران..» الخ.

تقدم الكلام عن حسن الجوار في الدرس الخامس عشر.

وأما توقير الكبير فقد أمر به الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام لمن تكلم قبل الأكبر: «**كبر كبر**» رواه البخاري ومسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**» [رواه أبو داود وهو صحيح].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**» [رواه أبو داود والترمذي وهو صحيح].

ومن توقير الكبير توقير العالم، لأنه بعلمه وفضله استحق التوقير والاحترام.

وقوله: «والصغار..» الخ.

رحمة الصغير والإحسان إليه من آداب الإسلام، قال عليه الصلاة

والسلام: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا» الحديث [رواه أبو داود والترمذي].

وكان عليه الصلاة والسلام يحنو على الصغير ويلاطفه ويلاعبه، وقد حمل بنت بنته أمامة وهو في الصلاة، ولاعب الحسن والحسين، وكان يقول لأبي عمير أخي أنس بن مالك -رضي الله عنهم-: «يا أبا عمير ما فعل النغير» والنغير طائر قد مات، كان يلعب به الصبي، فقال له ذلك رسول الله ممازحاً.

وكان الصبي ربما بكى لذكر الطائر فيضحك ﷺ، وذلك غاية اللطف ومكارم الأخلاق.

والتهنئة بالمولود من الآداب الإسلامية، لأنها تدخل السرور على المسلم، وكان النبي ﷺ يدعو للمولود بالخير والبركة، كما ورد في صحيح مسلم، وورد عن الحسن البصري أنه علم رجلاً التهنئة فقال: «قل: بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ رشده، ورزقت بره» وفي رواية قال: «قل: جعله الله مباركاً عليك وعلى أمة محمد ﷺ» [رواه الطبراني بسند حسن].

قال الإمام النووي: يستحب تهنئة المولود له، قال أصحابنا: ويستحب أن يهنئ كما جاء عن الحسين -رضي الله عنه- أنه علّم إنساناً التهنئة، فقال: «قل: بارك الله لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره»

ويستحب أن يرد على المهنئ فيقول: بارك الله لك وبارك عليك وجزاك الله خيراً، أو رزقك مثله، وأجزل الله ثوابك. ونحو هذا.

قوله: «والتعزية..» الخ.

قال رسول الله ﷺ: **«من عزى أخاه المؤمن في مصيبة كساه الله حلة خضراء، ويُحبر بها يوم القيامة»** قيل: يا رسول الله، ما يُحبر؟ قال: **«يغبط»** رواه الخطيب في تاريخ بغداد وابن عساكر وله شاهد عند ابن أبي شيبة، وهو حديث حسن وحسنه الألباني في الإرواء رقم **(15)**.

ويعزيهم بما يظن أنه يسليهم، ويكف من حزنهم، ويحملهم على الرضا والصبر، مما ثبت عنه ﷺ إنه كان يعلمه ويستحضره، وإلا فبما تيسر له من الكلام الحسن، الذي يحقق الغرض، ولا يخالف الشرع. ومما ورد ما عزى به النبي ﷺ بنته: **«إن لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب»** [أخرجه البخاري ومسلم].

قال النووي -رحمه الله-: **«هذا الحديث أحسن ما يُعزى به»**.

ومما ورد أن النبي ﷺ لما دخل على أم سلمة قال: **«اللّٰهُمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه»** [أخرجه مسلم].

وليس للتعزية حد تحد فيه لا بثلاثة أيام ولا بغيرها، بل ورد أن النبي

ﷺ عزى آل جعفر بعد ثلاث ليال[17].

قوله: «وغير ذلك من الآداب..».

فقد شرع الإسلام الآداب الإسلامية لكي يتأدب بها المسلم في حياته، وهي مشروعة في جميع نواحي الحياة؛ مثل: آداب قضاء الحاجة، وآداب المسجد، وآداب عيادة المريض، وآداب المجالس، وآداب طالب العلم، وآداب المشي في الطريق، وآداب الزيارة، وأدب الحديث، وغير ذلك من الآداب، التي عرضناها فيما تقدم وما لم نذكره، وقد ألفت كُتب في الآداب، منها الآداب الشرعية لابن مفلح، والأدب المفرد للبخاري، وغيرهما من كتب الآداب الإسلامية.

(17) حاشية الدروس المهمة، ص(175ـ 186) بتصرف.

الدرس السابع عشر:

التحذير من الشرك وأنواع المعاصي

الحذر والتحذير من الشرك وأنواع المعاصي، ومنها: السبع الموبقات (المهلكات) وهي: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حَرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

ومنها: عقوق الوالدين وقطيعة الرحم، وشهادة الزور، والأيمان الكاذبة، وإيذاء الجار، وظلم الناس في الدماء، والأموال، والأعراض، وشرب المسكر، ولعب القمار، وهو: الميسر ـ والغيبة والنميمة، وغير ذلك مما نهى الله -عز وجل- عنه، أو رسوله ﷺ.

قوله: «ومنها السبع الموبقات المهلكات..» الخ.

ذكرها النبي ﷺ في حديث واحد، قال: «اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» [متفق عليه].

وقول الشيخ -رحمه الله-: «التحذير من الشرك وأنواعه.. الحذر

والتحذير من الشرك...» إلخ.

الشرك[18] (صرف أي نوع من أنواع العبودية لغير الله تعالى).

وقد تقدم بيان الشرك وأنواعه في الدرس الرابع فراجعه، وقد ورد التحذير من الشرك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [لقمان: 13]. والشرك من أكبر الكبائر كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر..**» قالوا: بلى يارسول الله، قال: «**الإشراك بالله**» [متفق عليه].

ومن الشرك أن يسجد لغير الله أو يدعو غير الله، ويطلب منه قضاء حاجاته، أو يذبح القرابين لغير الله، أو يقدم أي نوع من أنواع العبودية لغير الله، سواء كان هذا المدعو حيًّا أو ميتاً أو قبراً أو صنماً أو حجراً أو شجراً أو ملكاً أو نبيًّا أو وليًّا أو حيواناً أو غير ذلك. كل هذا من الشرك الذي لا يغفره الله تعالى للعبد إلا أن يتوب ويدخل في الإسلام من جديد.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨ ﴾ [النساء: 48]. فالمسلم لا يعبد إلا الله -عز وجل-، ولا يدعو إلا الله، ولا يخضع إلا لله، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ

---

(18) من كتاب ما لابد من معرفته عن الإسلام 279.265 بتصرف.

لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: 162ـ 163].

ومن الشرك أيضاً: اعتقاد أن لله زوجة وولداً تعالى الله عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

وقوله: «والسحر والكهانة وادعاء علم الغيب..» الخ.

والسحر عبارة عما خفي ولطف سببه وحقيقته: عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له.

والسحر والكهانة كفر، ولا يكون الساحر ساحراً إلا بصلته بالشياطين وعبادتهم من دون الله، فلذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: 102]، وقال: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ -عز وجل- فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: 102].

فلا يجوز للمسلم الذهاب إلى السحرة ولا سؤالهم، ولا يجوز له تصديقهم فيما يكذبون به من ادعائهم علم الغيب، وفيما يخبرون من الحوادث والأخبار، التي يزعمون وقوعها في المستقبل، وقراءة الكف والفنجان وغيرهما.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [النمل: 65]. وقال سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ ﴾ [الجن: 26 ـ 27]. وحد الساحر ضربه بالسيف، كما نقل ذلك عن ثلاثة من الصحابة -رضي الله عنهم-.

قوله: «قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق».

قتل النفس جريمة عظيمة في دين الإسلام توعد الله عليها بالعذاب الأليم، ورتب عليها أقسى العقوبات في الدنيا، وذلك بقتل القاتل، إلا أن يعفو أولياء المقتول. قال الله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ ﴾ [المائدة: 32]، ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣ ﴾ [النساء: 93].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**» قيل: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**» [رواه البخاري ومسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم**

يصب دماً حراماً» [رواه البخاري وأحمد].

قوله: «أكل الربا»:

الربا كبيرة من كبائر الذنوب، ومحرم ودمار للاقتصاد، واستغلال لحاجة المحتاج إلى المال، سواء كان تاجراً في تجارته، أو كان فقيراً لحاجته.

وهو إقراض المال إلى أجل معين، مقابل زيادة معينة عند سداد المال، فالمرابي يستغل حاجة الفقير المحتاج إلى المال، ويثقل ظهره بالديون المتراكمة الزائدة على رأس المال.

والمرابي يستغل حاجة التاجر أو الصانع أو المزارع أو غيرهم ممن يحركون الاقتصاد، يستغل حاجتهم الماسة إلى السيولة النقدية، فيفرض عليهم جزءاً زائداً من الأرباح فيما يقرضهم دون أن يكون شريكاً لهم، فيما يتعرضون له من مخاطر الكساد والخسارة.

وإذا خسر هذا التاجر تراكمت عليه الديون وسحقه هذا المرابي، بينما لو كانوا شركاء في الربح والخسارة، هذا بجهده وهذا بماله كما أمر الإسلام، لدارت عجلة الاقتصاد بشكل مستمر في مصلحة الجميع. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن

تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [البقرة: 278 ـ 280].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لعن الله آكل الربا ومؤكله**» رواه مسلم، ورواه الترمذي بسند صحيح وزاد فيه «**وشاهديه وكاتبه**».

والربا بجميع أنواعه محرم، لقوله ﷺ: «**الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها مثل إتيان الرجل أمه**» [رواه الطبراني في الأوسط بسند صحيح].

قوله: «وأكل مال اليتيم»:

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء: 10].

فأكل مال اليتيم محرم، وهو من الكبائر، وذلك إذا كان ظلماً، أما إذا كان ولي اليتيم فقيراً فيجوز له أن يأكل بمعروف، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [النساء: 6]. وقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: 152].

والمقصود بالأكل المحرم كل ما كان فيه إتلاف لمال اليتيم وإضاعته، ولو لم يكن أكلاً، وإنما عبر بالأكل لأنه هو الغالب.

وقوله: «والتولي يوم الزحف»:

لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال: 16].

فالتولي يوم الزحف كبيرة، وهو الهرب عندما تلتحم الصفوف في الجهاد في سبيل الله، لأن في ذلك خذلاناً للمسلمين وتضعيفاً لقوتهم، ولأن الجهاد يجب على من حضره.

وقوله: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات..»:

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النور: 23].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ﴾ [النور: 4].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: 58].

وقال ﷺ: **«من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال»** [متفق عليه].

فيجب على المسلم أن يحفظ لسانه من قذف أهل الإيمان من المؤمنين والمؤمنات، فـ**«المسلم من سلم المسلمون من لسانه يده»** [رواه البخاري ومسلم].

وقوله: «ومنها عقوق الوالدين»:

لقوله عليه الصلاة والسلام: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»** فذكر منها

عقوق الوالدين. [متفق عليه].

وورد عن النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مؤمن بسحر» [رواه الحاكم وحسّن إسناده الذهبي في الكبائر].

وورد في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لعن الله العاق لوالديه» [رواه النسائي بسند حسن].

فالعقوق جحد للجميل، ونكران للمعروف، وعصيان لله ﷻ، فاحذر أخي المسلم من العقوق.

وقوله: «وقطيعة الرحم»:

لقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [محمد: 22 ـ 23]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» [رواه البخاري ومسلم].

وقطيعة الرحم تكون بالإيذاء وعدم المساعدة والمعونة وعدم الإحسان، قال الزين العراقي -رحمه الله-: (قطيعة الرحم هو الإساءة إلى الرحم) وقال غيره: (تكون القطيعة بترك الإحسان).

وقاطع الرحم يوقف عمله، قال عليه الصلاة والسلام: «إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم» [رواه أحمد].

قوله: «وظلم الناس في الأموال...» الخ.

والظلم باب واسع يدخل فيه كثير من أعمال السوء والصفات القبيحة، التي تؤثر على الفرد، ويدخل فيه ظلم الفرد لنفسه، وظلمه لمن حوله وظلمه لمجتمعه، بل وظلمه لأعدائه، وقد أخبرنا الله أنه لا يحب الظالمين، وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا**» [مسلم بشرح النووي 16: 133].

والظلم محرم بجميع أشكاله، قال ﷺ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» [رواه البخاري ومسلم]، وبالجملة: فالظلم من كبائر الذنوب.

ومن الظلم: الاعتداء على الناس في أموالهم: سواء بالسرقة أو الغصب أو الرشوة أو الاحتيال أو غير ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة: 38].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة:188].

وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**» [أخرجه الترمذي وحسنه].

فالإسلام يحارب بقوة الاعتداء على أموال الآخرين، ويشدد في ذلك، ويرتب على المعتدي العقوبات الغليظة الزاجرة له ولأمثاله المخلين بنظام المجتمع وأمنه.

ومنه الغش والغدر والخيانة:

ويحرم ذلك في كافة المعاملات من بيع وشراء ومعاهدات وغير ذلك، وهي صفات ذميمة نهى الإسلام عنها وحذر منها.

قال الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين: 1 ـ 6]. وقال ﷺ: «**من غشنا فليس منا**» [مسلم: 109/2]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧ ﴾ [النساء: 107].

ومنه الاعتداء على الناس في أعراضهم. ويحرم الاعتداء على الناس في أعراضهم بالسب والشتم والغيبة والنميمة والحسد وسوء الظن والتجسس والسخرية وغير ذلك. لأن الإسلام يحرص على إقامة مجتمع نظيف طاهر، تسوده المحبة والأخوة والوئام والتعاون، ولذلك فهو يكافح وبشدة جميع الأمراض الاجتماعية المؤدية إلى تفكك المجتمع وبروز الشحناء والبغضاء والأنانية بين أفراده.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ۝١٢﴾ [الحجرات: 11 ـ 12].

كما أن الإسلام يحارب وبشدة التفرقة العنصرية والتمييز الطبقي بين أفراد المجتمع، فالكل في نظره سواسية، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود، إلا بما يحمله الواحد منهم في قلبه من دين وتقوى، يتنافس الجميع على حد سواء في الأعمال الصالحة. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣﴾ [الحجرات: 13].

ومن أعظم الاعتداء على الأعراض مقارفة الزنا:

والزنا محرّم وكبيرة من كبائر الذنوب، وعمل خبيث، مفسد للأخلاق والمجتمعات، ومسبب لاختلاط الأنساب وضياع الأسر وفقدان التربية الصحيحة. وأولاد الزنى يشعرون بمرارة الجريمة وكراهية المجتمع، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ۝٣٢﴾ [الإسراء: 32].

وهو سبب لانتشار الأمراض الجنسية المدمرة لكيان المجتمع، قال رسول الله ﷺ: «ما انتشرت الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأمراض، التي لم تكن في أسلافهم» [ابن ماجه 1332/2 وسنده صحيح].

ولذلك أمر الإسلام بسد جميع المنافذ المؤدية إليه، فأمر المسلمين بغض أبصارهم، لأن النظرة المحرمة هي بداية الطريق إلى الزنا، وأمر النساء بالستر والحجاب والعفاف، حتى يصان المجتمع من رذيلة الفواحش، وبالمقابل أمر بالزواج المبكر، وحث عليه، ورغب فيه، ووعد بالأجر والمثوبة، وذلك كي تنشأ أسرة كريمة عفيفة مؤهلة، لتكون محاضن تربوية ناجحة لطفل اليوم ورجل الغد.

ومن الاعتداء على العرض الإيذاء للمسلم:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: 58].

قال النبي ﷺ: «**إن شر الناس منزلة عند الله من ودعه الناس اتقاء فحشه**» [رواه البخاري ومسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبغض الفاحش البذيء**» [رواه الترمذي وأبو داود بسند حسن].

وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» [أخرجه مسلم].

وقال النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» [رواه البخاري ومسلم].

ومن ظلم الناس في أعراضهم الغيبةُ والنميمة والبهتان.

قوله: «وشهادة الزور»:

الزور: هو الكذب، وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: 72]. وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: 30]، وعن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور، وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. [متفق عليه].

وقال الإمام الذهبي -رحمه الله-: شاهد الزور قد ارتكب عظائم:

إحداها: الكذب والافتراء، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝٢٨﴾ [غافر: 28].

ثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

ثالثها: أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام.

ورابعها: أنه أباح ما حرم الله وعصمه من المال والدم والعرض، قال عليه الصلاة والسلام: «**كل المسلم على المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه**» [رواه البخاري ومسلم].

قوله: «والأيمان الكاذبة»:

لقوله الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ [النحل: 94]. ومعنى دخلاً أي خديعة ومكراً، قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهم-: قال رسول الله ﷺ: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» [رواه البخاري].

واليمين الغموس التي يتعمد فيها الكذب، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم.

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»، قيل: وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك» [رواه مسلم].

وقوله: «وإيذاء الجار»:

لحديث رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» [متفق عليه].

وفي رواية مسلم: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» أي لا يأمن

جاره شروره.

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول» [رواه النسائي والبخاري في الأدب المفرد بسند صحيح].

وقيل للنبي ﷺ: إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتصدّق، وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي من أهل النار»، وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار[19] ولا تؤذي أحداً. فقال رسول الله ﷺ: «هي من أهل الجنة» [رواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح].

وقال ﷺ: «من كل يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» [متفق عليه].

قال الشيخ -رحمه الله-: «وغير ذلك مما نهى الله -عز وجل- عنه أو رسوله ﷺ».

وهذا باب واسع جدًّا من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

الشح والبخل:

وهو دليل على الأنانية وحب الذات، فيكنز هذا البخيل ماله، ويرفض إخراج زكاته للفقراء والمساكين، متنكراً للمجتمع، رافضاً لمبدأ التعاون

(19) الأثوار: جمع ثور،وهي القطعة من الأقط.

والأخوة، التي أمر الله ورسوله بها. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: 180].

ومنها: أكل لحم الميتة والدم ولحم الخنزير، وكذلك الذبائح المتقرب بها لغير الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة: 172 ـ 173].

التوبة عن المحرمات:

هذه الكبائر والمحرمات التي ذكرناها يجب على كل مسلم أن يحذر حذراً شديداً من الوقوع فيها، فإن كل عمل يعمله الإنسان يجازى عليه يوم القيامة: إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر.

وإذا سقط المسلم في شيء من هذه المحرمات فليبادر مباشرة إلى التوبة منها واللجوء إلى الله وطلب المغفرة منه، وعليه إن كانت توبته صادقة أن يقلع عن هذا الذنب الذي وقع فيه، ويندم على ما فعله، ويعزم على أن لا

يعود إليه، وإن كانت وقعت منه مظلمة لأحد أن يردها عليه، أو يطلب منه الصفح. عند ذلك تكون توبته صادقة ويتوب الله عليه ولا يعاقبه عليها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وعليه أن يستغفر الله كثيراً، بل على كل مسلم أن يُكثر من الاستغفار مما يلم به من أخطاء صغيرة أو كبيرة. قال الله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح: 10]. فكثرة الاستغفار والإنابة إلى الله صفة المؤمنين المخبتين.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزمر: 53 ـ 54].

وبالجملة فإن الناس قد استهانوا بالمحرمات التي يجب الحذر منها، ومنها إجمالاً ما يلي:

- تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله.
- الاعتقاد في تأثير النجوم والكواكب في الحوادث وحياة الناس.
- اعتقاد النفع في أشياء لم يجعلها الخالق كذلك.
- الطيرة. التشاؤم من المرئيات أو المسموعات. وهي من الشرك.

- الجلوس مع المنافقين أو الفساق استئناساً بهم أو إيناساً لهم.

- ترك الطمأنينة في الصلاة.

- العبث وكثرة الحركة في الصلاة.

- سبق المأموم إمامه في الصلاة عمداً.

- إتيان المسجد لمن أكل بصلاً أو ثوماً أو ما له رائحة كريهة.

- امتناع المرأة من فراش زوجها بغير إذن شرعي.

- طلب المرأة الطلاق من زوجها لغير سبب شرعي.

- الظهار: أن يقول الرجل لزوجته أنتِ عليَّ كظهر أمي. يريد بذلك التحريم، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع.

- وطء الزوجة في حيضها.

- إتيان المرأة في دبرها.

- عدم العدل بين الزوجات.

- الخلوة بالأجنبية، خلوة الرجل بمن ليست محرماً له، وهذا يكثر في عصرنا مع الخادمات في المنازل.

- مصافحة الرجل المرأة الأجنبية.

- تطيب المرأة عند خروجها ومرورها بعطرها على الرجال.
- سفر المرأة بغير محرم.
- تعمد الرجل النظر إلى المرأة الأجنبية. التي ليس محرماً لها.
- الدياثة. الذي يرضى على أهله بالزنى.
- التزوير في انتساب الولد لأبيه وجحد الرجل ولده.
- كتم عيوب السلعة وإخفاؤها عند بيعها.
- بيع النجش. وهو الزيادة في السلعة لمن لا يريد شراءها.
- البيع بعد النداء الثاني يوم الجمعة.
- أخذ الرشوة وإعطاؤها.
- غصب الأرض.
- قبول الهدية بسبب الشفاعة.
- استيفاء العمل من الأجير وعدم إيفائه أجره.
- عدم العدل في العطية بين الأولاد.
- سؤال الناس المال من غير حاجة.
- الاستدانة بدين لا يريد وفاءه.

- أكل الحرام وشرب الحرام.
- استعمال آنية الذهب والفضة، والأكل والشرب فيها.
- شهادة الزور.
- سماع المعازف والموسيقى.
- الغيبة: وهي ذكرك أخاك بما يكره.
- النميمة: نقل الكلام من شخص إلى آخر بقصد الإفساد بينهم.
- الاطلاع على بيوت الناس دون إذن.
- تناجي اثنين دون الثالث.
- تحلي الرجال بالذهب على أي صورة كانت.
- الإسبال في الثياب.
- لبس القصير والرقيق والضيق من الثياب للنساء.
- وصل الشعر بشعر مستعار لآدمي أو لغيره للرجال والنساء.
- تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.
- صبغ الشعر بالسواد.
- تصوير ما فيه روح في الثياب والجدران والورق ونحو ذلك.

- الكذب في المنام.

- الجلوس على القبر والوطء عليه وقضاء الحاجة في المقابر.

- عدم الاستتار من البول.

- التسمع إلى حديث قوم وهم له كارهون.

- سوء الجوار.

- المضارة في الوصية.

- اللعب بالنرد، وهي لعبة ذات صندوق وحجارة وفصين تعتمد على الحظ.

- لعن المؤمن، ولعن من لا يستحق اللعن.

- النياحة.

- ضرب الوجه والوسم في الوجه.

- هجر المسلم فوق ثلاثة أيام دون سبب شرعي.

ومن ذلك الكبر والغرور والعجب والخيلاء:

الكبر والغرور والخيلاء صفات قبيحة مستهجنة، مبغوضة في دين الإسلام، وقد أخبرنا الله تعالى بأنه لا يحب المتكبرين، وقال عنهم في الدار الآخرة: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزمر: 60].

فالمتكبر المغرور المعجب بنفسه مبغوض من الله، مبغوض من خلقه.

الدرس الثامن عشر:

تجهيز الميت والصلاة عليه ودفنه

وإليك تفصيل ذلك:

قال الشيخ -رحمه الله- «تجهيز الميت..» الخ:

في هذا الدرس تناول الشيخ شيئاً من أحكام الجنائز، وقد فصل فيه ـ رحمة الله عليه ـ نظراً لجهل كثير من الناس في أحكام تجهيز الميت والصلاة عليه، ونحن نقدم لك بين يدي كلام الشيخ أموراً مهمة:

1 ـ وجوب الصبر على المسلم إذا نزل به ضر:

ينبغي للمسلم إذا نزل به ضر أن يصبر فلا يتسخط ولا يظهر الجزع، إذ أمر الله ورسوله بالصبر في كثير من الآيات والأحاديث، غير أنه لا بأس أن يقول المريض إذا سئل عن حاله: إني مريض، أو بي ألم، والحمد لله على كل حال.

2 ـ وجوب عيادة المريض:

يجب على المسلم عيادة أخيه المسلم إذا مرض، لقوله ﷺ: «أطعموا الجائع، وعُودوا المريض، وفُكُّوا العاني ـ الأسير ـ» [أخرجه البخاري]، ويستحب له إذا عاده في مرضه أن يدعو له بالشفاء، وأن يوصيه بالصبر، وأن

يقول له ما يطيب به نفسه، كما يستحب له أن لا يطيل الجلوس عنده، وكان ﷺ إذا عاد مريضاً قال له: «لا بأس، طهورٌ إن شاء الله» [أخرجه البخاري]. فليقل المسلم ذلك لأخيه.

3 ـ أخي المسلم: تذكر نهاية كل إنسان في هذه الحياة، وأول ما تتذكر نفسك إلى أين تحط رحالك عند انتهاء السفر، ولكي تتذكر جيداً فتعال معنا إلى هذه الوقفات:

الوقفة الأولى مع كتاب الله ﷻ:

لقد ورد ذكر الموت فيه بمائة وأربعة وستين موضعاً بصور مختلفة، ونورد بعض الآيات:

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: 185].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: 19]. وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ -عز وجل- وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: 83 ـ 85]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: 26 ـ

.[30

الوقفة الثانية: مع سنة رسوله ﷺ:

الحديث الأول: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا ذكر هادم اللذات**» [رواه الترمذي]، يعني الموت.. قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ قوله -عليه السلام-: «**أكثروا ذكر هادم اللذات. الموت**» كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره
نغص عليه لذته الحاضرة، ومنعه من تمنيها في المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل.

الحديث الثاني: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**» [رواه مسلم (65/3، 82/6)، وأبو داود (72/2)، والنسائي، والبيهقي]. وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة**».

الوقفة الثالثة عن الموت وشدته:

1 ـ تعريف العلماء للموت: الموت هو: انقطاع ومفارقة وحيلولة

وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار.

2 ـ روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت، وأن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة» [ذكر هذا الحديث ابن عراق في تنزيه الشريعة (375/2)، وعزاه للديلمي من حديث أنس].

وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب (الحلية) من حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ضربة بالسيف».

3 ـ عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كانت بين يدي النبي ﷺ ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات» ثم نصب يديه فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده) [رواه البخاري في كتب المغازي، باب مرض النبي ﷺ].

4 ـ قال علماؤنا ـ رحمة الله عليهم ـ: فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين، فما لنا عن ذكره مشغولين؟ وعن الاستعداد له متخلفين؟ ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨﴾

[ص: 67 ـ 68].

الوقفة الرابعة عن الاستعداد للموت:

ينبغي للمسلم أن يكون مستعداً للموت في أية لحظة في ليل أو نهار، نائماً أو مستيقظاً. ويكون الاستعداد للموت بالعمل بهذه الأمور:

1 ـ الإيمان بكلمة التوحيد والعمل بمقتضاها.

2 ـ المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة وما يتبعها من الرواتب والنوافل وقيام الليل والمحافظة على الوتر، وعلى السنن عامة.

3 ـ تلاوة كتاب الله وتدبره والعمل به، والمحافظة على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وقبل الصلوات المكتوبة، وأن يختمه على الأقل مرة أو مرتين في الشهر.

4 ـ قراءة سنة المصطفى محمد ﷺ، واتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

5 ـ مجالسة الصالحين واقتباس الفائدة من مجالسهم في إصلاح دينه ودنياه، من خلال مذاكرة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الوقفة الخامسة: الموت وعلاماته، وحسن الخاتمة وسوءها:

أولاً: يجب على المحتضر وغيره من ذوي الصحة:

1 ـ الوصية، لقوله ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه**» [متفق عليه].

2 ـ أن يجمع بين الخوف والرجاء، فيخاف عقاب الله على ما اقترفه في هذه الدار، ويرجو رحمة ربه ومغفرته وما عنده، لحديث أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف**» [أخرجه الترمذي وابن ماجه وعبد الله ابن أحمد وابن أبي الدنيا، وانظر الوجازة للشيخ/ عبد الرحمن الغيث].

3 ـ وجوب حسن الظن بالله حال المرض: ينبغي للمسلم إذا مرض وأشرف على الموت أن يحسن الظن بالله تعالى من أنه سبحانه سوف يرحمه، ويغفر له، وأنه واسع المغفرة ورحمته وسعت كل شيء، لقوله ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**».

علامة حسن الخاتمة:

1 ـ عن بريدة بن الحصيب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**موت المؤمن بعرق الجبين**» [أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وغيرهم].

2 ـ وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر» [أخرجه أحمد والفسوي وصححه الألباني في أحكام الجنائز].

3 ـ ومـن علامات حسن الخاتمة أن يموت على طاعة من طاعات الله ورسوله ﷺ، كما لو مات في صلاة أو صيام أو في حج أو في عمرة أو في جهاد في سبيل الله أو في دعوة إلى الله.

ومن يرد الله به خيراً يوفقه إلى عمل صالح، فيقبضه عليه.

4 ـ ثناء جماعة من المسلمين عليه بالخير، لحديث أنس -رضي الله عنه- قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال النبي ﷺ: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في أرضه» [متفق عليه].

5 ـ ومن العلامات التي ترى على الميت بعد وفاته:

(أ) الابتسامة على الوجه.

(ب) ارتفاع السبابة.

(ج) الوضاءة والإشراقة والفرحة بالبشرى التي سمعها من ملك الموت،

وأثرها على وجهه.

6 ـ أما علامات سوء الخاتمة فهي كثيرة ومتعددة، ومنها:

(أ) أن يموت على شرك أو على ترك الصلاة متهاوناً بها، متهاوناً بأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وكذا من يموت على الأغاني والمزامير والتمثيليات والأفلام الماجنة، ومن يموت على الفاحشة بعمومها والخمر والمخدرات.

(ب) ومن العلامات التي تظهر على الميت بعد الوفاة: عبوس الوجه، وكتامته، وظلمته، وعدم الرضا بما سمع من ملك الموت بسخط الله، وظهور السواد على الوجه، وقد يعم السواد سائر الجسم إلى غير ذلك، عياذاً بالله [الوجازة للشيخ عبدالرحمن الغيث 46 ـ 48].

7 ـ الاسترجاع، والدعاء والصبر: ينبغي لأهل الميت أن يلزموا الصبر في هذه الساعة بالخصوص، والمراد بها ساعة حدوث المصيبة، لقوله ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى». وأن يكثروا من الدعاء والاسترجاع، لقوله ﷺ: «ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله تعالى في مصيبته، وأخلف له خيراً منها» [رواه مسلم].

وقوله: «يقول الله تعالى: (ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة)» [أخرجه أحمد بسند صحيح].

أولاً: يشرع تلقين المحتضر: (لا إله إلا الله)؛ لقول النبي ﷺ: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله» [رواه مسلم في صحيحه]، والمراد بالموتى في هذا الحديث: المحتضرون، وهم من ظهرت عليهم أمارات الموت.

ثانياً: إذا تيقن موته أغمضت عيناه وشد لحياه؛ لورود السنة بذلك.

تلقين الميت:

ينبغي للمسلم إذا عاين احتضار أخيه أن يلقنه برفق كلمة الإخلاص، فيقول عنده: «لا إله إلا الله»، يذكره بها حتى يذكرها ويقولها، فإذا قالها كف عنه، وإن هو تكلم بكلام غيرها أعاد تلقينه، رجاء أن يكون آخر كلامه لا إله إلا الله، فيدخل الجنة لقوله ﷺ: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله» [أخرجه مسلم]. وقوله: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة» [أخرجه أبو داود وهو صحيح].

قوله: «ثانياً إذا تيقن موته...» الخ.

ذكر الشيخ -رحمه الله-:

1 ـ إغماض عينيه، وذلك لحديث أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» [أخرجه مسلم].

2 ـ وشد لحييه، والمراد بذلك إقفال فمه، ويشد اللحيان بعصابة

ونحوها، لئلا يدخله الهواء أو الماء عند غسله، ولئلا تشوه خلقته.

3 ـ ويضاف على ما ذكره الشيخ: تليين المفاصل خلال ساعة من وفاته، ليسهل نقله وغسله وتكفينه.

4 ـ وضع ثقل مناسب على بطنه، ليمنع انتفاخه إذا لم يُعجل في تغسيله.

5 ـ تغطية الجسم حتى يُشرع في تجهيزه، لحديث عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله ﷺ حين توفي سجي، [رواه الشيخان].

6 ـ الإسراع في تجهيزه، لقوله ﷺ: «أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» [متفق عليه].

7 ـ المبادرة بقضاء دينه إن كان عليه دين، لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «نفس المؤمن معلقة بدينه، حتى يُقضى عنه» [رواه الترمذي، انظر كتاب الوجازة ص46].

ثالثاً: يجب تغسيل الميت المسلم، إلا أن يكون شهيداً مات في المعركة، فإنه لا يغسل، ولا يصلى عليه، بل يدفن في ثيابه، لأن النبي ﷺ لم يغسل قتلى أحد، ولم يصل عليهم.

رابعاً: صفة غسل الميت: أنه تستر عورته، ثم يرفع قليلاً ويعصر بطنه

عصراً رقيقاً، ثم يلف الغاسل على يده خرقة أو نحوها فينجيه بها، ثم يوضئه وضوء الصلاة، ثم يغسل رأسه ولحيته بماء وسدر أو نحوه، ثم يغسل شقه الأيمن، ثم الأيسر، ثم يغسله كذلك مرة ثانية وثالثة، يمر في كل مرة يده على بطنه، فإن خرج منه شيء غسله، وسدَّ المحل بقطن أو نحوه، فإن لم يستمسك فبطين حر، أو بوسائل الطب الحديثة؛ كاللزق ونحوه.

وجوب تغسيله:

إذا مات المسلم صغيراً أو كبيراً وجب تغسيله، سواء كان جسده كاملاً أو كان بعضه فقط، والذي لا يغسل من موتى المسلمين هو شهيد المعركة، الذي سقط قتيلاً بأيدي الكفار، في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، لقوله ﷺ: «لا تغسلوهم، فإن كل جرح، أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامة» [رواه أحمد بسند صحيح].

فضل التغسيل والسنة فيه:

عن أبي رافع -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «من غسل مسلماً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة» وفي رواية: «خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، وفي رواية بلفظ: «أربعين كبيرة»، «ومن كفنه كساه الله يوم القيامة من سندس واستبرق الجنة، ومن حفر له حفرة فأجنه فيها أجرى الله له أجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة» [أخرجه الحاكم

والبيهقي. ورواه الطبراني في الكبير بلفظ «أربعين كبيرة» وصححه الألباني في أحكام الجنائز].

ولمن تولى غسله فضل عظيم بشرطين:

1 ـ أن يستر عليه ولا يحدث بما قد يرى عليه من مكروه.

2 ـ أن يبتغي بذلك وجه الله، لا يريد به جزاءً ولا شكوراً أو شيئاً من أمور الدنيا، لما تقرر في الشرع أن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العبادات إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

والسنة في التغسيل: عن أم عطية -رضي الله عنها- قالت: (دخل علينا النبي ﷺ ونحن نغسل ابنته (زينب) فقال: «اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو أكثر من ذلك إذا رأيتن ذلك بماء وسدر» قالت: قلت: وتراً؟ قال: «نعم واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من الكافور. فإذا فرغتن فآذنني»، فلما فرغنا آذناه، فألقى علينا حقوه "إزاره" فقال: «أشعرنها إياه»، قالت: ومشطتها ثلاثة قرون (وفي رواية: نقضته ثم غسلته) فضفرنا شعرها ثلاثة أثلاث: قرنيها وناصيتها وألقيناها خلفها قالت: وقال لنا رسول الله ﷺ: «ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها» [أخرجه البخاري ومسلم].

الأمانة في التغسيل: لقول ابن عمر (لا يغسل موتاكم إلا المأمونون) [انظر: إرواء الغليل ـ الألباني. والأمانة شاملة لكل الأقوال والأفعال حتى

تغسيل الميت. والمؤتمن هو المحافظ على الصلوات الخمس مع الجماعة المعروف بأمانته وأخلاقه ومعاملته للناس (الوجازة: 53 ـ 54)].

كيفية تغسيل الميت:

من يغسل الميت: [الوجازة ص59 وما بعدها بتصرف].

1 ـ حسب الوصية فإن كان قد أوصى أن يغسله فلان من الناس وإلا والده وإن علا وابنه وإن نزل، فإن كان الميت لم يوص فتختار الأسرة الثقة الأمين وكذلك المرأة.

2 ـ أن يكون مكان التغسيل مستور الجوانب والسقف.

3 ـ يحسن بالمغسل (الذي يعقد نية التغسيل) أن يختار من أهل الجنازة اثنين أحدهما عليه آثار الطاعة فيعلمه هذه السنة وآخر عليه آثار الذنوب والمعاصي، حيث يرى الميت وهو يُغسل ويقلب، لعل هذه الموعظة تردعه عما هو فيه ويتوب ويرجع إلى الله (وكفى بالموت واعظاً).

4 ـ لا يدخل عند الميت إلا من يحتاج إليه المغسل، ومن يعينه على التغسيل ـ اثنين مثلاً ـ ويكره لغيرهم حضوره.

أشياء يستعملها المغسل:

1 ـ لبس لثام "كمام" على الأنف والفم لمنع الروائح للوصول إليهما.

2 ـ لبس واق على الملابس لمنع وصول الأوساخ وغيرها من السدر والكافور أثناء التغسيل.

3 ـ لبس قفازين على اليدين لمنعهما من الوصول لبشرة الميت ومنع وصول الأوساخ إليهما.

4 ـ لبس واق للقدمين لحمايتهما مما ينزل من الميت من الأوساخ.

تحضير الماء والسدر بإناء الغسل:

1 ـ يحضر الماء حسب الكمية المطلوبة وحسب حجم الجسم باللترات.

2 ـ تحضير السدر.

لكل فنجان قهوة كبير من السدر جالون ماء سعة 4 لترات، فمثلاً الصغير له جالون من الماء وفنجان من السدر والأكبر منه له جالونان من الماء وفنجانان من السدر، والمتوسط من الرجال ثلاثة جوالين من الماء وثلاثة فناجين من السدر والأكبر منه له أربعة جوالين من الماء وأربعة فناجين من السدر والأكبر من ذلك خمسة جوالين من الماء وخمسة فناجين من السدر، وتقل الكمية بالنسبة للسقط، حيث يكون الماء نصف الجالون والسدر نصف فنجان.

تحضير الكافور والماء:

لكل جالون (4 لتر) مربعان من الكافور فمثلاً: الصغير له جالون من

الماء، ومربعان من الكافور، والأكبر منه له جالونان من الماء وأربعة مربعات من الكافور. والمتوسط من الرجال ثلاثة جوالين من الماء وستة مربعات من الكافور. والأكبر منه له أربعة جوالين من الماء وثمانية مربعات من الكافور. والأكبر من ذلك خمسة جوالين من الماء وعشرة مربعات من الكافور وتقل الكمية بالنسبة للسقط حيث يكون الماء نصف جالون ومربع من الكافور.

ملحوظة: والكافور نوعان، إما أن يكون ليناً فيفرك باليد، أو قاسياً فيدق بالهاون حتى يكون مثل مربعات السكر.

قبل التغسيل:

(أ) ستر عورة الميت من السرة إلى الركبة بمنشفة كبيرة ساترة **(علماً بأن عورة المرأة من السرة إلى الركبة بين النساء)**.

(ب) تجريد ملابسه:

1 ـ إذا كان الميت ليناً أو ملين المفاصل، فيسهل خلعها والاستفادة منها لآخر يحتاج إليها بعد غسلها.

2 ـ وإن كان متصلباً لم يلن بعد وفاته أو أحضر من ثلاجة فتجرد ملابسه بواسطة المقص "المقراض" بالبدء من كمه الأيمن حتى رقبته، ثم كمه الأيسر حتى رقبته، ثم فتحة الجيب حتى نهاية الثوب وذلك بسحبه من تحت ساتر العورة، وكذلك لو كان عليه فانيلة. أما السراويل فيقص من

اليمين من تحت الساتر ومن اليسار كذلك. ثم يقلب الميت على جنبه الأيسر وتجمع ملابسه تحت جنبه الأيسر ثم يقلب على جنبه الأيمن وتسحب الملابس مع المحافظة على ساتر العورة.

3 ـ تقص أظافر يديه ورجليه إن كانت طويلة، وكذا حلق إبطه إذا كان كثيف الشعر ونتفه إذا كان خفيفاً وتخفيف شاربه.

4 ـ تنظيف أنفه وفمه وسدهما بقطن حتى الانتهاء من تغسيله ثم تزال.

5 ـ إذا كـان الميت بحاجة إلى نظافة لتراكم بعض الأوساخ على جسمه وتصعب إزالتها بالسدر فنعمل المخلوط الآتي:

(أ) ملعقتان من صابون مبشور.

(ب) معلقتان من الشامبو.

(ج) معلقتان من المطهر.

(د) ثلاثة كؤوس كبيرة من الماء.

(هـ) تمزج جميعها معاً فينظف الميت بهذا المخلوط بواسطة ليفة الجسم. ويبدأ المغسل من رأسه ووجهه، ثم يقلب على جنبه الأيسر فيفرك جنبه الأيمن بعناية، ثم يقلب على جنبه الأيمن، فيدلك جنبه الأيسر بعناية،

كذلك مع المحافظة على ساتر العورة، وإدخال يد المغسل اليسرى في كلتا الحالتين من تحت الساتر للعورة ودلكه بالمخلوط. ثم يؤتى بالماء فيبدأ برأسه ووجهه، ويقلب على جنبه الأيسر، ويغسل جنبه الأيمن، ثم يقلب على جنبه الأيمن، ويغسل جنبه الأيسر، لإزالة المخلوط والأوساخ، التي جرى تنظيفها من بدن الميت مع ملاحظة المغسل لساتر العورة وإدخال الماء من تحت الساتر لإزالة ما ذكرنا.

تنبيه:

يزيد المخلوط وينقص حسب حجم الجنازة، وبعد نظافة الميت أو إن كان الميت نظيفاً نبدأ بالآتي:

1 ـ إذا كان الميت ليناً يقعد نصف إقعادة، ويعصر بطنه برفق ثلاث مرات، ليخرج المستعد من بطنه برفق، ثم يلف الغاسل على يده اليسرى خرقة لتنجيته، فينظف القبل والدبر. والماء ينساب على يده بواسطة من يساعده، وإن كان الميت متصلبا أو لم يلين أو أتي به من ثلاجة، فيكتفي بفتح رجليه وإدخال يد الغاسل اليسرى وتنظيف قبله ودبره، فإن رأى الغاسل استمرار الخارج من الدبر، في كلتا الحالتين فينظف ثانية وثالثة. فإن رأى الاستمرار فيعمل فتيلاً من القماش يسد به الدبر ويلصق بلاصق طبي.

2 ـ يجمع المغسل يدي الميت، ويقول: بسم الله، ويغسل يديه ثلاثاً ويمسح على فمه ثلاثاً، ويمسح على أنفه ثلاثاً، ويغسل وجهه ثلاثاً، ويغسل

ذراعه الأيمن ثلاثاً، ثم ذراعه الأيسر ثلاثاً، ويمسح رأسه إقبالاً وإدباراً، ثم يحلق على أذنيه، ويغسل رجله اليمنى ثلاثاً، ثم رجله اليسرى ثلاثاً.

3 ـ يؤتى بالسدر المحضر، فيغسل رأسه ووجهه مع دلكه برغوة السدر، ثم يقلب على جنبه الأيسر، ويدلك جنبه الأيمن من كتفه حتى نهاية قدمه اليمنى، ثم يقلب على جنبه الأيمن، ثم يدلك جنبه الأيسر من كتفه حتى نهاية قدمه اليسرى، مع إدخال يد المغسل من تحت الساتر في كلتا الحالتين، ثم يكرر غسله مرة ثانية بالماء والسدر.

4 ـ يؤتى بالكافور المحضر، فيغسل رأسه ووجهه، ثم يقلب على جنبه الأيسر، ثم يغسل جنبه الأيمن من الكتف حتى نهاية قدمه اليمنى، ثم يقلب على جنبه الأيمن ويغسل جنبه الأيسر من الكتف حتى نهاية قدمه اليسرى مع إدخال الماء والكافور من تحت الساتر مع المحافظة على عورته، علماً بأن الكافور نوع من الطيب يصلب الجسم ويبرد عليه، وهو سام بالنسبة للحشرات.

5 ـ يؤتى بمنشفة ثانية فينشف الظاهر من جسمه كوجهه وصدره وكتفيه ويديه وظهره وساقيه ورجليه، ثم توضع هذه المنشفة المبللة خفيفاً على الأخرى الساترة للعورة، فتسحب المبللة كثيراً من تحتها، فيكون الميت جاهزاً للتكفين [الوجازة، للشيخ عبد الرحمن الغيث].

ملحوظات هامة يجب معرفتها:

1 ـ تغسيـل المصابين بالحـوادث أو المصـابين بالحرائق، يُعالج العضو المصاب بتنظيفه ثم يلف القطن والشاش عليه ولفه بواق من الماء والسدر والكافور. ثم بعد نهاية التغسيل ييمم عن هذا العضو، وإن كانت الإصابة بالغة من الحوادث أو الحرائق ويصعب تغسيلها فإن الجنازة تيمم بعد وضعها على الأكفان وفوق واق للأكفان.

2 ـ تغسل الذكور والإناث فوق السابعة من العمر واحد. إلا أن النساء تضفر شعورهن ثلاث ضفائر، أما ما دون السابعة من الذكور والإناث فليس لهم عورة فيغسل الرجل الإناث وتغسل النساء الذكور غسلات ثلاث بدون وضوء **(لكن بشرط أن يكون المغسل محرماً مع وجوب ستر العورة عند الغسل)**، والرجال لا يغسلون من النساء إلا أزواجهم، والنساء لا يغسلن من الرجال إلا أزواجهن، لقول رسول الله ﷺ لعائشة: «**ما يضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك، ثم صليت عليك ودفنتك**» [رواه أحمد في المسند].

وله عنها قولها: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساؤه**» [رواه أحمد في المسند].

3 ـ السقط دون الأربعة أشهر لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، بل يُحفر له حُفرة فيدفن فيها. أما ما فوق الأربعة أشهر فهو إنسان، لأن الروح

نفخت فيه فيأخذ حكم ما دون السابعة في التغسيل فيُسمى ويعق له.

4 ـ مناسبة الماء لحالة الجو عند تغسل الجنازة، فلا يُغسل في الصيف بالماء الحار، ولا يغسل في الشتاء بالماء البارد، وقس ذلك على نفسك.

5 ـ من كان في فمه أسنان من ذهب، ثابتة، فلا يؤذى بخلعها وإنما تترك. أما إذا كانت متحركة فتخلع. هذا إذا كان فمه مفتوحاً، أما إذا كان مقفلاً فلا يؤذى بفتحه لخلع أسنانه، بل تترك [كتاب الوجازة].

واعلم أنه لو أفرغ الماء على جسد الميت، حتى عم الماء سائره لأجزأ ذلك.

قوله: «أو طين حر» الطين الحر: هو الطين الذي لا رمل فيه.

وقوله: «وإن لم ينق بثلاث»... إلخ كما فعل بالنبي ﷺ. رواه أحمد.

قوله: «في مغابنه» إلخ المغابن كطي الركبتين وتحت الإبط والسرة وتطييبها، لما ورد عن ابن عمر -رضي الله عنهم-.

وأما تطييب مواضع السجود فتشريفاً لها، وقوله: «وإن طيبه كله كان حسناً» لأن أنساً طُلي بالمسك، وطلى ابن عمر -رضي الله عنهم- ميتاً بالمسك. وقوله: «ويجمر أكفانه بالبخور ثلاثاً» لقوله ﷺ: «إذا جمرتم الميت فأجمروه ثلاثاً» أخرجه أحمد وابن أبي شيبة، وهذا في غير المُحرم.

9ـ من عجز عن غسله يمم:

إذا لم يوجد ماء لغسل الميت، أو مات رجل بين نساء أو امرأة بين رجال، يمم وكفن، وصلي عليه ودفن، ويقوم التيمم مقام الغسل عند العجز، كالجنب إذا عجز عن الغسل تيمم وصلى. وذلك لقوله ﷺ: «**إذا ماتت المرأة مع رجال ليس معهم امرأة غيرها، والرجل مع نساء ليس معهن رجل غيره، فإنهما يُيَمَّمان ويدفنان**» [رواه أبو داود في مراسيله والبيهقي]. وهما بمنزلة من لم يجد الماء.

خامساً: تكفين الميت: الأفضل أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة، كما فعل النبي ﷺ، يدرج فيه إدراجاً، وإن كفن في قميص وإزار ولفافة فلا بأس. والمرأة تكفن في خمسة أثواب: درع، وخمار، وإزار، ولفافتين. ويكفن الصبي في ثوب واحد إلى ثلاثة أثواب، وتكفن الصغيرة في قميص ولفافتين.

والواجب في حق الجميع ثوب واحد يستر جميع الميت، لكن إذا كان الميت محرماً فإنه يغسل بماء وسدر، ويكفن في إزاره وردائه أو في غيرهما، ولا يغطى رأسه ولا وجهه، ولا يطيب؛ لأنه يبعث يوم القيامة ملبياً، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ وإن كان المحرم امرأة كفنت كغيرها، ولكن لا تطيب، ولا يغطى وجهها بنقاب، ولا يداها بقفازين، ولكن يغطى وجهها ويداها بالكفن الذي كفنت فيه، كما تقدم بيان صفة

تكفين المرأة.

سادساً: أحق الناس بغسله والصلاة عليه ودفنه: وصيه في ذلك، ثم الأب، ثم الجد، ثم الأقرب فالأقرب من العصبات في حق الرجل.

والأولى بغسل المرأة: وصيتها، ثم الأم، ثم الجدة، ثم الأقرب فالأقرب من نسائها، وللزوجين أن يغسل أحدهما الآخر؛ لأن الصديق -رضي الله عنه- غسلته زوجته، ولأن عليًّا -رضي الله عنه- غسل زوجته فاطمة -رضي الله عنها-.

وجوب تكفينه وكيفيته:

يجب أن يكفن المسلم إذا غسل، بما يستر سائر جسده، فقد كفن مصعب بن عمير من شهداء أحد -رضي الله عنه- في بردة قصيرة، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يغطوا رأسه وجسده، وأن يغطوا رجليه بالإذخر ـ نبات ـ [أخرجه البخاري]. فدل هذا على فرضية تغطية سائر الجسد. ويلجأ إلى الإذخر عندما لم يوجد من القماش ما يكفي لتغطية كامل جسده.

كيفية التكفين:

واتفق الجمهور على وجوب ثوب لا يصف البشرة، يستر جميع بدن الميت: ذكراً كان أو أنثى، ما لم تكن محرماً، وأحسن ما كفن به الميت ما ذكر في حديث عائشة -رضي الله عنها- عن كفن رسول الله ﷺ المتفق عليه

وقوله ﷺ: «أحسن ما زرتم الله به في قبوركم ومساجدكم البياض...» الحديث [ابن ماجه].

الخطوة الأولى: قياسات الكفن:

1 ـ نأخذ في الاعتبار عرض الميت، فإذا كان عرضه 30سم فيكفن بقماش بعرض 90سم، وإن كان عرضه 40سم فيكفن بعرض 120سم، وإن كان عرضه 50سم فيكفن بعرض 150سم، وإن كان عرضه 60سم فيكفن بعرض 180سم.

2 ـ من ناحية طول الميت: من كان طوله 180سم يضاف زيادة 60سم ومن كان طوله 150سم يضاف عليه 50سم، ومن كان طوله 120سم يضاف 40سم، ومن كان طوله 90سم يضاف 30سم، والإضافة في طول الكفن من أجل أن يتمكن من يكفن الميت من ربط ما فوق الرأس وما تحت الرجلين.

الخطوة الثانية: التكفين:

أولاً: تكفين الرجل:

يكفن الرجل بثلاثة أثواب مأخوذة من حديث عائشة -رضي الله عنها- عندما قالت: (كفن رسول الله ﷺ بثلاثة أثواب سحولية بيضاء من قطن ليس فيها قميص ولا عمامة، أدرج فيها إدراجاً) [أخرجه الستة وابن

الجارود والبيهقي].

(أ) قص الأربطة من نفس عرض الكفن. فمثلاً إذا كان الميت عرضه 60سم وطوله 180سم يكون عرض اللفائف 180سم، يقص من هذا العرض الأربطة، وتكون وترية (7 مثلاً) وتبرم جيداً، وتوضع على النعش بالتساوي.

(ب) تقص اللفائف الثلاث عرض كل منها 180سم، وطول كل منها 180سم + 60سم = 240سم، وتوضع اللفائف الثلاث بعضها فوق بعض بالتساوي، ثم توضع على النعش، ويكون الأطول من اللفائف عند الرأس. وللعلم فإن تحديد المقاسات في الأكفان والأربطة من واقع التجربة، ولا تقييد في ذلك.

(ج) قص التبان ويكون من قماش بطول 100سم وعرض 25سم يشق من الأعلى ومن الأسفل، ثم يوضع على اللفائف بحيث يكون تحت مقعدة الميت، ويوضع عليه قطعة من القطن، ثم يوضع مخلوط المسك والكافور على التبان وعلى اللفافة الملاصقة لبدن الميت، بمقدار فنجان «متوسط» من المسك مع مكعب من الكافور (أربع مربعات)، يقل هذا المقدار كلما صغر حجم الجنازة.

(د) ينقل الميت على الأكفان بساتر العورة، ثم يؤتى بدهن العود أو ما

شابهه، وتطيب مواضع السجود إكراماً لسجودها لله ﷻ، وهكذا الأعضاء الجبهة والأنف وبطون اليدين والركبتين وبطون أصابع الرجلين.. ثم يوضع من هذا الطيب بقطع من القطن توضع بمغابن الميت، ثم توضع يداه محاذيتين لجنبيه، ويربط التبان بأخذ شقه الأعلى والأسفل من اليمين، ثم يربط جيداً، ثم يؤخذ شقه الأعلى والأسفل من اليسار، ثم يربط جيداً لكي يمنع ما ينزل من بطن الميت على الأكفان لو حصل ذلك، حتى تستمر طهارتها إلى أن يوضع في قبره.

(هـ) ثم يؤخذ الشق الأيمن من اللفافة الأولى، ويدرج بها رأسه ورجلاه، ثم يؤخذ شق اللفافة الأيسر، ويدرج بها رأسه ورجلاه، ثم يسحب ساتر العورة. ثم يؤخذ الشق الأيمن من اللفافة الثانية، ويدرج بها رأسه ورجلاه، ثم يؤخذ الشق الأيسر من اللفافة الثانية، ويدرج بها رأسه ورجلاه، ثم يؤخذ الشق الأيمن من اللفافة الثالثة، ويدرج بها رأسه ورجلاه، ثم يؤخذ شقها الأيسر، ويدرج بها رأسه ورجلاه.

(و) الأربطة: يبدأ برباط أعلى الرأس، وما زاد من اللفائف يرد على وجهه، ويربط بالزائد من الرباط نفسه. ثم يربط ما تحت الرجلين، وما زاد من اللفائف يرد على رجليه، ويربط بالزائد من الرباط نفسه. ثم تربط الأربطة الخمسة بالتساوي على جسمه، ويكون ربطها من ناحية جنبه الأيسر ربطاً يسهل حله إذا وضع في القبر على جنبه الأيمن.

ثانياً: تكفين المرأة:

يستحب تكفين المرأة بخمس قطع.. لفافتين وقميص وإزار وخمار، فإذا كان عرضها مثلاً 50سم وطولها 150سم يؤخذ لها عرض 150سم من اللفائف ثم تؤخذ الأربطة من نفس العرض 150سم، وتقص بحيث تكون وترية مثلاً سبعة أربطة تبرم جيداً وتوضع على النعش بالتساوي، ثم توضع على الأربطة ويكون الزائد من اللفافتين عند الرأس، وكذا تقص لفافتان متساويتان طول كل منهما 150سم + 50سم = 200سم، ثم توضع على الأربطة، ويكون الزائد من اللفافتين عند الرأس، وكذا يتبع بطول اللفائف وعرضها، كما وضح سابقاً في جنازة الرجل.

(أ) قص القميص: ويؤخذ مقاسه من كتفها حتى نهاية ساقيها مضاعفاً يقص له فتحة من وسطه يدخل منه رأسها، فيبسط شقه الأسفل، ويجمع الشق الأعلى من القميص عند الرأس، ويكون من عرض 90سم.

(ب) الإزار: ويكون من عرض 90سم وطول 150سم. يبسط على الشق الأسفل والقميص.

(ج) الخمار: ويكون عرضه وطوله 90سم "مربع".

(د) التبان: ويكون عرضه 25سم، ويكون طوله 90سم، يشق من الأعلى والأسفل، ويُبسط على الإزار ليكون تحت مقعدة الميتة، ويوضع عليه

قليل من القطن، ثم مخلوط من المسك والكافور، ويعمم على الإزار وعلى القميص. وللمعلومية فالقميص والإزار والخمار لكل الجنائز من النساء يقص من عرض 90سم.

(هـ) تنقل الميتة على الأكفان بساتر العورة، ويربط الشق الأيمن من التبان أعلاه وأسفله ربطاً جيداً، ثم الشق الأيسر أعلاه وأسفله ربطاً جيداً، لكي يمنع ما ينزل على الأكفان من بطن الميتة لو حصل ذلك. ثم يؤخذ الشق الأيمن من الإزار وتدرج به، ثم يؤخذ الشق الأيسر منه وتدرج به أيضاً، ثم يسحب ساتر العورة. ثم يؤتى بالشق الأعلى من القميص المجموع عند رأسها، فيدخل رأسها مع شقه، ثم يضفى على سائر جسدها، ثم تجمع أطرافه من اليمين واليسار تحت جنبيها، ثم يؤتى بالخمار ويخمر به رأسها وشعرها ووجهها.

(و) اللفائف: يؤتى بالشق الأيمن من اللفافة الأولى، ويدرج به رأسها ورجلاها. ثم يؤتى بشقها الأيسر ويدرج به رأسها ورجلاها، ثم يؤتى بالشق الأيمن من اللفافة الثانية ويدرج به رأسها ورجلاها، ثم يؤتى بشقها الأيسر ويدرج به رأسها ورجلاها.

(ز) الأربطة: يربط ما عند الرأس، ويرد ما زاد من اللفائف على وجهها وتربط بالزائد من الرباط نفسه.

ثم يربط ما تحت القدمين، ويرد ما زاد من اللفائف على قدميها، ويُربط بالزائد من الرباط نفسه. ثم تربط الأربطة الخمسة بالتساوي على جسمها، ويكون ربطها على جنبها الأيسر، ربطاً يسهل حله إذا وضعت في القبر على جنبها الأيمن.

ملاحظة:

1 ـ تكفين الصبي تحت السابعة يكون بثوب واحد ساتر أو بثلاثة أثواب.

2 ـ تكفين الأنثى تحت السابعة بقميص ولفافتين.

3 ـ اختيار المسك ووضعه بين أكفان الميت للحديث الوارد عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «**أطيب الطيب المسك**» [رواه مسلم].

قوله: «والمرأة في خمسة أثواب..» الخ.

قال ابن المنذر -رحمه الله-: أكثر من نحفظ عنه من أهل العلم يرى أن تكفن المرأة في خمسة أثواب.. وإنما استحب ذلك لأن المرأة تزيد في حال حياتها على الرجل في الستر لزيادة عورتها عن عورته، فكذلك بعد الموت، ولما كانت تلبس المخيط في إحرامها وهو أكمل أحوال الحياة استحب إلباسها إياه بعد وفاتها والرجل بخلاف ذلك، فافترقا في اللبس بعد الموت،

لافتراقهما فيه في الحياة (المغني 3/391).. ولقوله ﷺ: «ليله أقربكم إن كان يعلم» [رواه أحمد وغيره].

قوله: «والأولى بغسل المرأة...».

لما ورد عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل النبي ﷺ غير نسائه» [رواه أبو داود وابن ماجه]، وما ورد عنها أيضاً قالت: «رجع إليَّ رسوله ﷺ من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأقول: وارأساه، فقال: بل أنا وارأساه، ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك، ثم صليت عليك ودفنتك» [رواه أحمد والدارقطني].

قوله: «لأن الصديق -رضي الله عنه- غسلته زوجته..».

وهي أسماء بنت عميس الخثعمية -رضي الله عنها-، أسلمت قديماً في مكة، وهاجرت مع جعفر -رضي الله عنه-، ولما استشهد تزوجها أبو بكر، ثم لما مات تزوجها علي -رضي الله عنهم- جميعاً.

سابعاً: صفة الصلاة على الميت: يكبر أربعاً، ويقرأ بعد الأول: الفاتحة، وإن قرأ معها سورة قصيرة أو آية أو آيتين فحسن؛ للحديث الصحيح الوارد في ذلك عن ابن عباس -رضي الله عنهم-، ثم يكبر الثانية ويصلي على النبي ﷺ كصلاته في التشهد، ثم يكبر الثالثة، ويقول: (اللَّهُمَّ اغفر لحيِّنا

وميِّتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذَكَرِنا وأُنثانا، اللّٰهُمَّ من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللّٰهُمَّ اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نُزُله، ووسّع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقّه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار، وافسح له في قبره، ونوِّر له فيه، اللّٰهُمَّ لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده)، ثم يُكبّر الرابعة، ويُسلّم تسليمة واحدة عن يمينه.

ويستحب أن يرفع يديه مع كل تكبيرة، وإذا كان الميت امرأة يقال: (اللّٰهُمَّ اغفر لها..) إلخ، وإذا كانت الجنائز اثنتين يقال: (اللّٰهُمَّ اغفر لهما..) إلخ، وإن كانت الجنائز أكثر من ذلك قال: (اللّٰهُمَّ اغفر لهم..) إلخ، أما إذا كان فرطاً فيقال بدل الدعاء له بالمغفرة: (اللّٰهُمَّ اجعله فرطاً وذُخراً لوالديه، وشفيعاً مجاباً، اللّٰهُمَّ ثقل به موازينهما، وأعظم به أجورهما، وألحقه بصالح سلف المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقه برحمتك عذاب الجحيم).

والسنة أن يقف الإمام حذاء رأس الرجل، ووسط المرأة، وأن يكون الرجل مما يلي الإمام إذا اجتمعت الجنائز، والمرأة مما يلي القبلة، وإن كان معهم أطفال قدم الصبي على المرأة، ثم المرأة على الطفلة، ويكون رأس الصبي حيال رأس الرجل، ووسط المرأة حيال رأس الرجل، وهكذا الطفلة يكون

رأسها حيال رأس المرأة، ويكون وسطها حيال رأس الرجال، ويكون المصلون جميعاً خلف الإمام، إلا أن يكون واحداً لم يجد مكاناً خلف الإمام فإنه يقف عن يمينه.

قوله: «صفة الصلاة على الميت..» الخ.

الصلاة على المسلم إذا مات فرض كفاية، كغسله وكفنه ودفنه، إذا قام بها بعض المسلمين سقط عن الباقين، فقد كان رسول الله ﷺ يصلي على أموات المسلمين، حتى إنه كان قبل أن يلتزم بديون المؤمنين إذا مات المسلم وترك ديناً لم يقض يمتنع من الصلاة عليه، ويقول: صلوا على صاحبكم [أخرجه البخاري].

شروط الصلاة على الميت:

يشترط للصلاة على الجنازة، ما يشترط للصلاة من طهارة الحدث والخبث، وستر العورة، واستقبال القبلة، لأن الرسول ﷺ سماها صلاة، فقال: «صلوا على صاحِبِكُم» فتُعطى إذاً حُكْمَ الصلاة في شروطها.

فروضها:

فروض صلاة الجنازة هي: القيام للقادر عليه، والنية لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» وقراءة الفاتحة، أو الحمد والثناء على الله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ، والتكبيرات الأربع، والدعاء والسلام.

كيفيتها:

قول الشيخ: «**يكبر أربعاً..**» إلخ.

وكيفيتها هي:

1 ـ أن توضع الجنازة أو الجنائز تجاه القبلة.

2 ـ ويقف الإمام والناس وراءه ثلاثة صفوف فأكثر، لقوله ﷺ: «**من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب**» [رواه الترمذي وحسنه].

3 ـ فيرفع المصلي يديه ناوياً الصلاة على الميت أو الأموات، إن تعددوا قائلاً: الله أكبر..

4 ـ قوله: ويقرأ الفاتحة وإن قرأ معها سورة قصيرة.. إلخ، يشير -رحمه الله- لحديث طلحة بن عبد الله بن عوف قال: صليت خلف ابن عباس -رضي الله عنهم- على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة حتى أسمعنا، فلما فرغ أخذت بيده فسألته، فقال: إنما جهرت لتعلموا أنها سنة وحق.. [أخرجه البخاري ومسلم].

5 ـ ثم يكبر ويدعو للميت.

6 ـ ثم يكبر.

7 ـ فإن شاء دعا وسلم أو سلم بعد التكبيرة الرابعة مباشرة تسليمة

واحدة، لما روي أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سراً في نفسه، ثم يصلي على النبي ﷺ ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات، ولا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم سراً في نفسه [أخرجه الشافعي وصحح الحافظ إسناده].

ألفاظ الدعاء:

رويت عنه ﷺ ألفاظ أدعية كثيرة منها ما ذكره الشيخ، ومنها ما يلي:

وأي لفظ استعمل منها أجزأ: «اللَّهُمَّ إن فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق. اللَّهُمَّ فاغفر له وارحمه، فإنك أنت الغفور الرحيم. اللَّهُمَّ اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وحاضرنا وغائبنا.. اللَّهُمَّ من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان. اللَّهُمَّ لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده».

وإن كان الميت صبيًّا قال: «اللَّهُمَّ اجعله لوالديه سلفاً وذخراً وفرطاً، وثقّل به موازينهم، وأعظِم به أجورهم، ولا تحرمنا وإياهم أجره، ولا تفتنا وإياهم بعده. اللَّهُمَّ ألحقه بصالح سلف المؤمنين في كفالة إبراهيم، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وعافه من فتنة القبر، ومن عذاب جهنم». وهذه الأدعية كلها صحيحة منها في الصحيح ومنها في السنن، وقد ذكر الشيخ دعاء حديث أبي هريرة وهو في صحيح مسلم وغيره.

قوله: «والسنة أن يقف الإمام..».

فعن أبي غالب الخيّاط قال: شهدت أنس بن مالك صلى على جنازة رجل فقام عند رأسه، فلما رفع أتي بجنازة امرأة من قريش فقيل له: يا أبا حمزة! هذه جنازة فلانة ابنة فلان فصل عليها، فصلى عليها فقام وسطها، وفينا العلاء بن زياد العدوي، فلما رأى اختلافاً في قيامه على الرجل والمرأة قال: يا أبا حمزة! هكذا كان رسول الله ﷺ يقوم حيث قمت ومن المرأة حيث قمت؟ قال: نعم، قال: فالتفت إلينا العلاء فقال: احفظوا. [رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه].

وقد جاء عن نافع عن ابن عمر أنه صلى على تسع جنائز جميعاً، فجعل الرجال يلون الإمام والنساء يلين القبلة، فصفهن صفًّا واحداً، ووضعت جنازة أم كلثوم بنت علي امرأة عمر بن الخطاب وابن لها يقال له زيد وضع جميعاً والإمام يومئذ سعيد بن العاص، وفي الناس ابن عباس وأبو هريرة وأبو سعيد وأبو قتادة، فوضع الغلام مما يلي الإمام فقال رجل: فأنكرت ذلك فنظرت إلى ابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وأبي قتادة، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هي السنة.. [أخرجه عبد الرزاق والنسائي وابن الجارود].

تشييع الجنازة:

من السنة تشييع الجنازة وهو الخروج معها، لقوله ﷺ: **«عودوا المريض، وامشوا مع الجنائز تذكركم الآخرة»** [أخرجه مسلم].. والإسراع بها لقوله

ﷺ: «أسرعوا، فإن تكن صالحة فخير تقدمونه إليه» ويستحب المشي أمامها، إذ كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر يمشون أمام الجنازة. [رواه أبو داود والنسائي وغيرهما].

وأما فضل التشييع فقد قال فيه ﷺ: «من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً، وكان معها حتى يُصلى عليها ويفرغ من دفنها، فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد (وهو جبل عظيم قرب المدينة)، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط» [رواه البخاري].

ثامناً: صفة دفن الميت: المشروع تعميق القبر إلى وسط الرجل، وأن يكون فيه لحد من جهة القبلة، وأن يوضع الميت في اللحد على جنبه الأيمن، وتحل عقد الكفن، ولا تنزع بل تترك، ولا يكشف وجهه، سواء كان الميت رجلاً أو امرأة، ثم ينصب عليه اللَّبِن، ويطين حتى يثبت ويقيه التراب، فإن لم يتيسر اللَّبِن فبغير ذلك من ألواح، أو أحجار، أو خشب يقيه التراب، ثم يهال عليه التراب، ويستحب أن يقال عند ذلك: (باسم الله، وعلى ملة رسول الله)، ويرفع القبر قدر شبر، ويوضع عليه حصباء إن تيسر ذلك، ويرش بالماء.

ويشرع للمشيعين أن يقفوا عند القبر ويدعو للميت؛ لأن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا

له التثبيت، فإنه الآن يُسأل».

دفنه:

دفن الميت وهو مواراة جسده كاملاً بالتراب، فرض كفاية، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس: 21]. وله أحكام منها:

1 ـ أن يُعمق القبر تعميقاً يمنع وصول السباع والطير إلى الميت، ويحجب رائحته أن تخرج فتؤذي، لقوله ﷺ: «احفروا وأعمقوا وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد». فقالوا: من نقدم يا رسول الله؟ قال: «قدموا أكثرهم قرآناً» [أخرجه الترمذي وصححه..] ولا يدفن أكثر من ميت في قبر واحد إلا للضرورة ككثرة القتلى...

2 ـ أن يلحد في القبر، إذ اللحد أفضل، وإن كان الشق جائزاً، لقوله: «اللحدُ لنا والشقُّ لغيرنا» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وفي إسناده مقال، لكن صححه بعض أهل العلم] واللحد هو الحفر في جانب القبر مما يلي القبلة، والشق هو الحفر في وسط القبر.

3 ـ يستحب لمن حضر الدفن أن يحثو ثلاث حثيات من التراب بيده، فيرمي بها في القبر من جهة رأس الميت، لفعل الرسول ﷺ ذلك كما أخرجه ابن ماجه بسند لا بأس به.

4 ـ أن يدخل الميت من مؤخر القبر إذا تيسر ذلك، وأن يوجه إلى القبلة موضوعاً على جنبه الأيمن، وأن تحل أربطة كفنه ولا يكشف وجهه، وأن يقول واضعه: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ لفعل الرسول ﷺ ذلك [أخرجه أبو داود والحاكم وصححه].

5 ـ أن يغطى قبر المرأة بثوب أثناء وضعها في قبرها، إذ كان السلف يسجون قبر المرأة حال وضعها دون قبر الرجل.

تاسعاً: ويشرع لمن لم يُصل عليه أن يصلي عليه بعد الدفن؛ لأن النبي ﷺ فعل ذلك، على أن يكون ذلك في حدود شهر فأقل، فإن كان المدة أكثر من ذلك لم تشرع الصلاة على القبر، لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه صلى على قبر بعد شهر من دفن الميت.

عاشراً: لا يجوز لأهل الميت أن يصنعوا طعاماً للناس؛ لقول جرير بن عبد الله البجلي الصحابي الجليل -رضي الله عنه-: (كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة) رواه الإمام أحمد بسند حسن، أما صنع الطعام لهم، أو لضيوفهم فلا بأس، ويشرع لأقاربه وجيرانه أن يصنعوا لهم الطعام؛ لأن النبي ﷺ لما جاءه الخبر بموت جعفر ابن أبي طالب -رضي الله عنه- في الشام أمر أهله أن يصنعوا طعاماً لأهل جعفر، وقال: «إنه أتاهم ما يشغلهم». ولا حرج على أهل الميت أن يدعوا جيرانهم، أو غيرهم للأكل من الطعام المُهدى إليهم، وليس لذلك وقت محدود فيما

نعلم من الشرع.

حادي عشر: لا يجوز للمرأة الإحداد على ميت أكثر من ثلاثة أيام، إلا على زوجها فإنه يجب عليها أن تحد عليه أربعة أشهر وعشراً، إلا أن تكون حاملاً فإلى وضع الحمل، لثبوت السنة الصحيحة عن النبي ﷺ بذلك.

أما الرجل فلا يجوز له أن يحد على أحد من الأقارب أو غيرهم.

ثاني عشر: يشرع للرجال زيارة القبور بين وقت وآخر للدعاء لهم، والترحم عليهم، وتذكر الموت وما بعده؛ لقول النبي ﷺ: «**زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة**» [أخرجه الإمام مسلم في صحيحه]، وكان ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين**».

أما النساء فليس لهن زيارة القبور؛ لأن الرسول ﷺ لعن زائرات القبور، ولأنهن يخشى من زيارتهن الفتنة وقلة الصبر، وهكذا لا يجوز لهن اتباع الجنائز إلى المقبرة؛ لأن الرسول ﷺ نهاهن عن ذلك، أما الصلاة على الميت في المسجد، أو في المصلى فهي مشروعة للرجال وللنساء جميعاً.

هذا آخر ما تيسر جمعه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

أهم المراجع

(1) آداب المشي إلى الصلاة، لمحمد بن عبد الوهاب.

(2) إرواء الغليل، لمحمد ناصر الدين الألباني.

(3) تفسير الكريم المنان، لعبد الرحمن بن سعدي.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

(5) أيسر التفاسير، لأبو بكر الجزائري.

(6) التفسير الواضح، لمحمد محمود حجازي.

(7) التفسير المنير، لوهبة الزحيلي.

(8) تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي.

(9) زاد المسير، لابن الجوزي.

(10) تفسير أبي السعود، لأبو السعود.

(11) مختصر تفسير البغوي، لعبد الله الزيد.

(12) الدر المنثور، للسيوطي.

(13) جامع البيان، لابن جرير الطبري.

(14) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.

(15) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل.

(16) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج.

(17) سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث.

(18) سنن الترمذي، لأبو عيسى الترمذي.

(19) سنن النسائي، لأبو عبد الرحمن النسائي.

(20) سنن ابن ماجه، لابن ماجه.

(21) صحيح ابن حبان، لابن حبان.

(22) المستدرك، لأبو عبد الله الحاكم.

(23) مسند الإمام أحمد، لأحمد بن محمد بن حنبل.

(24) شروط الصلاة وأركانها، للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(25) العدة شرح العمدة، لعبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي.

(26) حاشية الروض المربع، لعبد الرحمن بن قاسم النجدي.

(27) الكافي، لابن قدامة.

(28) منار السبيل، لإبراهيم بن محمد بن ضويان.

(29) مجالس رمضان، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

(30) المغني، لابن قدامة.

(31) ما لابد من معرفته عن الإسلام، لمحمد بن علي العرفج.

(32) مجموع فتاوى ومقالات، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(33) الوجازة في تجهيز الجنازة، لعبد الرحمن بن عبد الله الغيث.

(34) الأحكام الملمة، لعبد العزيز الفائز.

(35) حاشية الدروس المهمة، لأحمد بن صالح الطويان.

(36) جامع العلوم والحكم، لابن رجب.

(37) شرح أصول الإيمان، لمحمد بن صالح العثيمين.

(38) نضرة النعيم موسوعة الأخلاق، لمجموعة من العلماء.

(39) الكبائر، للذهبي.

(40) نصيحة المسلمين، لعبد الله بن سليمان بن حميد.

(41) زاد المعاد، لابن القيم.

(42) معنى لا إله إلا الله، لمحمد بن عبد الله الزركشي.

(43) محاضرات في العقيدة، للدكتور الشيخ صالح الفوزان.

(44) شرح كلمة الإخلاص، للحافظ ابن رجب الحنبلي.

أسئلة عن الكتاب

وإتماماً للفائدة وترسيخاً للمسائل، وضعنا هذه الأسئلة لتكون محل مسابقات للكتاب ـ إن شاء الله ـ:

س1: ماذا يفعل من فاته قطار التعليم في الصغر، وما واجبك نحو أقربائك الكبار ممن فاتهم التعليم، وكيف تتعامل معهم في تعليمك لهم، ومن قدوتك في ذلك؟

س2: ما حُكم تعلم ما فرض الله على المسلم وكيف يفعل الإنسان ليتعلم ذلك؟

س3: بيّن ربعي بن عامر بكلمات قلائل مهمة بعثة الرسول ﷺ وواجب المسلمين بعده، تحدث فيما قاله ربعي لرستم الفارسي.

س4: الإسلام هو الدين الخاتم جاء ليضع الأمور في نصابها، تحدث عن ذلك مبيناً أهمية بعثة الرسول ﷺ.

س5: المتأمل في الإسلام رغم ما يتعرض له من هجمة شرسة إلا أن الناس يدخلون فيه أفواجاً، هل تعرف السبب في ذلك.

س6: أسئلة التفسير واحدة ولتكون على النموذج التالي:

(أ) اقرأ سورة [....] قراءة صحيحة مطبقاً أحكام التجويد وبيّن لماذا سُمّيت بهذا الاسم، ومناسبة السورة لما قبلها، وما موضوعها مع بيان المفردات التالية:.....،.....،....، وسبب النزول.

(ب) تحدث عن معناها الإجمالي بما لا يتجاوز ثلاثة سطور ووضح ما يستفاد منها.

س7: بين حكم الاستعاذة والبسملة، للمصلي ومتى يأتي بهما، وما معنى الاستعاذة؟

وبيّن معنى ـ الرحمن ـ ومعنى الرحيم، والفرق بينهما، وما الحكمة من الاستعاذة؟

س8: بين أركان الإسلام، موضحاً أركان لا إله إلا الله، وشروطها ومعناها.

س9: بين فضل الشهادة ومكانتها.

س10: عرف الصلاة وحكمها وحكم تاركها.

س11: بين أهمية الزكاة وصوم رمضان والحج بالنسبة للمسلم.

س12: عرف الإيمان لغة واصطلاحاً.

س13: هل الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؟ اذكر الدليل على ما

تقول.

س14: ما اللوازم الباطلة التي تترتب على إخراج الأعمال من مسمى الإيمان؟

س15: اذكر بعض أدلة السلف على زيادة الإيمان ونقصه.

س16: ما وجه الاستدلال على زيادة الإيمان ونقصه من النصوص التالية؟

1 ـ قول الرسول ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها قول: لا إلٰه إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

2 ـ قول الرسول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده..**» الحديث.

س17: في أي شيء يجتمع الدين؟ وما الدليل على ذلك؟

س18: ما معنى الإسلام مع ذكر الأدلة؟

س19: متى يكون معنى الإسلام والإيمان واحداً؟ ومتى يختلف أحدهما عن الآخر؟

س20: ما معنى الإيمان مع الدليل على ذلك؟

س21: هل يطلق على الأعمال الظاهرة إيماناً وكيف ذلك؟

س22: متى يستكمل الإنسان الإيمان والإسلام الواجبين عليه؟

س23: ما المراد بالشعب؟ وما الفرق بين شعب الإيمان وأركانه؟

س24: ما معنى البضع؟ وهل أركان الإيمان وشعبه على حد سواء في الاعتقاد والعمل؟

س25: هل يجتمع في شخص إيمان ونفاق؟

س26: ما الدليل على أن إنكار الربوبية ناقض للإيمان؟

س27: ما الفرق بين إنكار الربوبية، وإنكار استحقاقه ـ تعالى ـ للعبادة؟

س28: ما حكم اتخاذ الوسائط والشفعاء في عبادة الله تعالى؟

س29: هل يصح التحاكم إلى غير شرع الله وما الدليل؟

س30: بيّن حكم الأمور التالية مع الاستدلال:

1 ـ الاستهزاء بالله، أو بالقرآن، أو بالرسول ﷺ مازحاً.

2 ـ الاعتقاد أنه يسع أحد الخروج عن هدي محمد ﷺ.

3 ـ اعتقاد سقوط التكاليف أو بعضها عن أحد من الناس.

س31: مثّل على نواقض الإيمان العملية.

س32: عرّف كلاًّ من الكبيرة والصغيرة مع التمثيل والاستدلال.

س33: ما مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة؟

س34: ما المعصية؟ ومتى تكون مخرجة من الدين؟

س35: ما أثر المعصية على الإيمان؟

س36: لماذا رغبت امرأة فرعون عمّا بين يديها من متع الحياة وطلبت النجاة من فرعون وعمله؟

س37: كيف يكون الإيمان بالغيب سبباً لانتشار المحبة في المجتمع؟

س38: ما مقتضى الإيمان بالله تعالى؟

س39: ما المراد بتوحيد الربوبية؟ وما الفرق بينه وبين توحيد الألوهية؟

س40: هل أنكر أحد من الناس توحيد الربوبية؟ وضح ذلك.

س41: ما معنى الإيمان بأسماء الله وصفاته؟

س42: ما المراد بالملائكة، وما اعتقاد أهل الجاهلية فيهم؟

س43: ما حكم الإيمان بالملائكة مع الاستدلال على ذلك؟

س44: يتضمن الإيمان بالملائكة أموراً، اذكرها.

س45: اذكر بعض أعمال الملائكة الخاصة، مع ذكر الدليل لكل عمل.

س46: ما علاقة الملائكة:

(أ) بالإنسان.

(ب) بالمؤمنين.

(ج) بالكافرين.

س47: للإيمان بالملائكة ثمرات جليلة اذكر بعضاً منها.

س48: ما معنى الكتب لغة، واصطلاحاً؟

س49: ما حكم الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله مع ذكر الدليل؟

س50: ما الأمور التي يتضمنها الإيمان بالكتب؟

س51: اذكر بعض الأدلة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل.

س52: الكتب الموجودة الآن لدى أهل الكتاب لا تصح نسبتها إلى الله. ما الأدلة التي تؤيد عدم صحة نسبتها إلى الله مع ما صرح به القرآن الكريم؟

س53: ما معنى القرآن لغة واصطلاحاً؟ وما المراد بالإيمان به؟

س54: ما معنى كون القرآن كلام الله - تعالى -؟ مع ذكر الأدلة.

س55: لماذا تكفل الله بحفظ القرآن دون بقية كتبه؟ وما المراد بحفظه؟

س56: عرّف النبي لغة؟ ولم سمي النبي نبيًّا؟

س57: ما الفرق بين النبي والرسول؟

س58: هل يمكن أن تنال الرسالة بالجهد البشري؟ وما المراد بكونها منحة إلهية؟ مع الاستدلال على ذلك.

س59: تحدث عن بعض صفات الرسل مع الاستدلال على ذلك.

س60: ما حكم الإيمان ببعض الرسل دون بعض؟ ومن أفضلهم؟

س61: هل يجب الإيمان بالأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن؟

س62: ما مقتضى الإيمان بمحمد ﷺ؟

س63: اذكر الأدلة على ختم النبوة، وأن محمداً ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين.

س64: ما المراد بالإيمان باليوم الآخر؟

س65: هناك أمور أخبر الرسول ﷺ أنها تكون بعد الموت، اذكر بعضاً منها.

س66: ما وجه الاستدلال على الإيمان باليوم الآخر من النصوص

التالية:

(أ) قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 62].

(ب) قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي - عز وجل - ٱلرِّقَابِ... الآية﴾ [البقرة: 177].

(ج) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: 16].

(د) قول الرسول ﷺ حينما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

س67: ما حكم الإيمان بسؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه؟ مع ذكر الدليل.

س68: ما الأدلة على قيام الساعة؟ وهل يعلم أحد متى وقت قيامها؟ مع الاستدلال على ذلك.

س69: ما الفرق بين علامات الساعة الكبرى والصغرى؟ ومثل لكل منهما.

س70: ما المراد بالصور؟ وما الآثار المترتبة على النفخ فيه؟

س71: ما المراد بالبعث؟ وما حكم الإيمان به، مع ذكر الدليل.

س72: ما موقف المشركين من عقيدة البعث؟

س73: بيّن الرد الشرعي، والحسي، والعقلي، على منكري البعث، مع وجه الاستدلال.

س74: ما الحوض؟ وما الأدلة على ثبوته؟

س75: اذكر صفات الحوض.

س76: عرف الميزان، وهل هو حقيقي؟ مع الدليل على ذلك.

س77: ما المراد بالصراط، وهل هناك أحد يدخل الجنة دون أن يمر عليه؟ اذكر الدليل على ما تقول.

س78: اذكر بعض الأدلة على ثبوت الصراط وصفته.

س79: ما الشفاعة؟ وما شروطها؟ وما المانع منها؟

س80: هل تطلب الشفاعة من غير الله؟ ولماذا؟ مع ذكر الدليل على ما تقول.

س81: ما أنواع الشفاعة؟ وما الخاص منها بمحمد ﷺ؟

س82: ما المقصود بالجنة والنار؟ وهل هما مخلوقتان، مع الدليل على ذلك؟

س83: أين مكان الجنة والنار؟ وهل تفنيان؟ مع الاستدلال لما تقول؟

س84: من هم أصحاب الجنة وأصحاب النار؟

س85: ما المراد بالقدر؟ وما معنى الإيمان بالقدر؟ وما الدليل؟

س86: ما معنى كون الشر ليس إلى الله؟

س87: كم مراتب الإيمان بالقدر؟ واذكرها مرتبة مع ذكر الأدلة.

س88: ما فائدة النهي عن الخوض في القدر؟

س89: ما مذهب السلف في القضاء والقدر مع الاستدلال؟

س90: ما حكم الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله به؟ مع ذكر الدليل.

س91: ما حكم الاحتجاج بالقدر عند المصائب ولماذا؟ وما الدليل على ذلك؟

س92: بم يتميز الإنسان عن سائر الحيوانات؟

س93: ما الهدف من خلق الإنسان؟ وما الطريق المرسوم له؟

س94: كيف يعتبر الإيمان حياة للقلوب؟

س95: لماذا يبعث الإيمان على الراحة والطمأنينة؟

س96: ماذا يترتب على الإيمان بالقضاء والقدر والجزاء على الأعمال تجاه الفرد والجماعة؟

س97: اذكر بعض آثار الإيمان في حياة الفرد والجماعة؟

س98: بين أنواع الشرك التي تحدث عنها المصنف مبيناً حكم ما يلي:

(أ) السحر. (ب) الرقى والتمائم. (ج) الرياء.

س99: كم شروط الصلاة مع بيان أركانها وواجباتها.

س100: اذكر بعض سنن الصلاة القولية والفعلية.

س101: مبطلات الصلاة، بإيجاز.

س102: بين فروض الوضوء مع ذكر أدلتها، وما هي مبطلاته؟

س103: اذكر السبع الموبقات التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث.

س104: اذكر بعض الأخلاق والآداب الإسلامية التي شرعت للمسلم مع بيان واجب المسلم نحوها.

س105: تحدث عن الجنازة بما يلي:

(أ) الواجب على من حضر مريضاً محتضراً.

(ب) حكم الوصية على المريض.

(ج) كيف يغسل الميت.

(د) كيف يكفن الميت إذا كان رجلاً أو امرأة.

(هـ) حكم الصلاة على الميت وكيفية الصلاة.

(و) من يغسل الميت وإذا كان الميت رجلاً بين نساء، والعكس.

(ز) حكم اللحد، والشق، واذكر كيف تدعو للميت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة..	3
الدرس الأول: سورة الفاتحة وما أمكن من قصار السور..........	13
الدرس الثاني: أركان الإسلام	99
الدرس الثالث: أركان الإيمان	136
الدرس الرابع: أقسام التوحيد..	198
الدرس الخامس: الإحسان...	221
الدرس السادس: شروط الصلاة...	226
الدرس السابع: أركان الصلاة..	230
الدرس الثامن: واجبات الصلاة..	233
الدرس التاسع: بيان التشهد (التحيات)	235
الدرس العاشر: سنن الصلاة..	240

الموضوع	الصفحة

الدرس الحادي عشر: مبطلات الصلاة.. 256

الدرس الثاني عشر: شروط الوضوء.. 259

الدرس الثالث عشر: فروض الوضوء.. 262

الدرس الرابع عشر: نواقض الوضوء.. 267

الدرس الخامس عشر: التحلي بالأخلاق المشروعة لكل مسلم.... 271

الدرس السادس عشر: التأدب بالآداب الإسلامية..................... 272

الدرس السابع عشر: التحذير من الشرك وأنواع المعاصي.......... 298

الدرس الثامن عشر: تجهيز الميت والصلاة عليه ودفنه............. 320

أهم المراجع.. 358

أسئلة عن الكتاب.. 362

فهرس الموضوعات.. 274